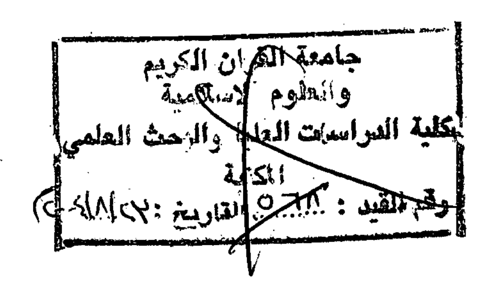
جمهورية السودان
جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
دائرة الدعوة والإعلام



القنوات الإباحية على شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت) وسبل معالجتها

{ دراسة وصفية تحليلية بالتطبيق على نظام المعالجة القطري }

أطروحة مقدمة لنيل درجة التخصص الأول
(الماجستير) في الدعوة والإعلام

جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية
عمادة شئون المكتبات
مكتبة الرسائل الجامعية
رقم القيد: ٩١
المصدر: ... التاريخ: ...

إعداد الباحث :
عبد الله بن سالم بن غراب المري

إشراف
فضيلة الشيخ / أ.د. سليمان عثمان

١٤٢٣هـ / ٢٠٠٢م

القنوات الإباحية على شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت) وسبل معالجتها

(دراسة وصفية تحليلية بالتطبيق على نظام المعالجة القطري)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾

[آل عمران: ١٤]

" ما تركتُ بعدي فتنةً هي أضرُّ على الرجال من النساء "

(حديث صحيح رواه البخاري ومسلم)

" يـــزعجني أننا نعيش بسهولة تحت ضغط تقديم التقنية تحت ما يسمى "التقدم" المسموح به لتغيير حياتنا دون محاولة مراقبتهم كما لو كانت التقنية قوة الطبيعة المتعذر كَبْتها والتي يجب أن نسلم لها بخنوع ! " .

الأدميرال هايمان ريكوفر *

Admiral Hyman G. Rickover

* عـــن: ريتشارد روسينبرج ، التأثير الاجتماعي للحاسبات ، ترجمة د. م. سرور علي إبراهيم سرور ، السعودية ، دار المريخ ، ط٢٠٠١م ، ص٢٧.

مُقدّمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وبعد:

فإن من أَولى الواجبات ، وأعظم القربات إلى الله سبحانه وتعالى ، وأحق ما صُرفت إلـيه الجهود والأموال والأوقات الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى تحققاً بقوله تعالى: (ومن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى اللهِ وعملَ صالحاً وقال إنني من المسلمين) .

وإن مـن ضروريات الدعوة أن تعالج - بعمق - مشاكل الناس ، وتقترح لهم سُبل العلاج في محاولة للنهوض بالمجتمع إلى الشكل الأمثل وفق الشرع الحنيف .

ويهـدف هـذا البحث (القنوات الإباحية على شبكة الإنترنت العالمية) إلى معالجة إشـكالية "الإباحـية" الـتي تُبَث عبر هذه الوسيلة التقنية ، والتي تشكل أحدث وسائل الاتصال الحديثة ، وهي آخذة بالانتشار الواسع والمفتوح ؛ ما يعني زيادة تسهيل الوصول إلى تلـك المعلومـات غير المرغوبة والمحرمة . ومن شأن المعالجة هذه أن تبحث في تحديد الإشكالية ، وتقدير حجمها وخطورتها ، ثم البحث في الفلسفة الكامنة خلف تسويقها ، مـع تناول وبحث آثارها على النفس والمجتمع ، وسبل الوقاية منها ؛ القانونية والتربوية ، وتقـويم أبرز الوسائل التقنية الموجودة لمكافحتها أو الحد منها ، لنخرج بعد ذلك ببعض التوصـيات والمقـترحات التي من شأنها أن تزيد من فاعلية تقنيات الحجب ، والوسائل التربوية التي من شأنها أن تحمل على تجنب هذه الظاهرة.

فالبحـث إذن يحـاول الإجابة على التساؤلات التالية: **ما طبيعة المشكلة ؟ وما هو حجمها ؟ وما هي الآثار والأخطار المترتبة عليها ؟ وما هي خيارات المعالجة والحجب ؟ وما هي أبرز الوسائل التقنية لمعالجة هذه المشكلة ؟**

وتعتبر إشكالية " الإباحية " على الإنترنت من أهم الإشكاليات التي تهدد المجتمع في ظـل تسـارع التقنية مما وفر للإنسان المعاصر الكثير من سُبل الانحراف ؛ لأن ثمة علاقة عكسية بين التقدم التقني والانضباط الديني والخلقي .

ويعود السبب في بحث هذا الموضوع إلى ضرورات دينية ونفسية واجتماعية وعلمية أيضاً ؛ حيث إن خطر "الإباحية" يؤثر على الإنسان سيكولوجياً وبيولوجياً كما أنها تهدد قيم المجتمع وبناءه ، وهي مع ذلك لم تحظ بالبحث العلمي التخصصي فيما نعلم .

إن "الإباحـــية" على الإنترنت تأخذ بعداً أكثر خطورة وتعقيداً لما تتمتع به الإنترنت من خصائص وما توفره من إمكانات مما سنعرض له بالتفصيل لاحقاً . إنها إهانة للجنس وإهانـــة للجسم الإنساني والعلاقة الإنسانية والقيمة الإنسانية . إن ذلك من شأنه أن يؤثر عـــلى مفهوم "الجنس" و"العري" فيهوي به إلى العالم السفلي ، على حين أنه لا يقل أهمية عـــن باقي الأنشطة الإنسانية الأخرى المقدسة والمباحة فيما إذا كانت متوافقة مع قانـــون الله ســـبحانه وتعـــالى . فالإباحـــية أقل ما يقال فيها: إنها خروج على القيم والأديان ، وانفـــلات مـــن ســـلطان الانضباط الديني والاجتماعي والأخلاقي ، وهَدْرٌ لقيم الأسرة والزواج والحرمات.

وبخصـــوص مـــنهج البحـــث ، فإن طبيعة الموضوع (الإباحية .. صورة) ووسيلته (الإنترنت .. وسيلة مرئية) تفرض علينا أن نختار في معالجته المنهج الوصفي التحليلي ؛ فهو يعالج مشكلة تكاد تنحصر في نطاق المرئيات .

وقد جعلت البحث على تمهيد وستة فصول على الشكل التالي:

القنوات الإباحية على شبكة الاتصالات العالمية (الإنترنت)

وسبل معالجتها

الفَصْلُ الأوَّل

حول الإنترنت (The Internet)

تمهيد :

المبحث الأول : نشأتها وخواصها

المبحث الثاني : محتوياتها ومخاطرها

المبحث الثالث: كيفية التحكم بها

تمهيد:

ظهرت الحاسبات الآلية منذ نصف قرن تقريباً، و لم يكن أحد يستطيع التكهن بالنهايات التي ستصل إليها.

وفي السنوات القليلة الأخيرة أصبح مصطلح "الإنترنت" شائعاً بين مختلف الأوساط وفي وسائل الإعلام فإذا لم تكن متصلاً بالإنترنت، أو لم تحاول ذلك من خلال "مقاهي الإنترنت" (على الأقل) فإنك تفقد شيئاً ما مثيراً وممتعاً ومفيداً في آن معاً، بل إنك - ربما - لا تكون متوافقاً مع آخر صيحة "للموضة" .

وتعتبر الإنترنت - وهي ابتكار أمريكي - صناعة تزداد نمواً بشكل متسارع تشهد على نشاط وخيال المجتمع الحر المفتوح وقد شهد عام ١٩٩٩م تحول الإنترنت إلى ظاهرة شعبية، و لم يكد عام ٩٩ ينتهي حتى خرجت شركات استشارية بتوقعات مفادها أن السنوات الخمس القادمة ستعيش نمواً كبيراً في أعداد مستخدمي الشبكة يربو على عشرة أمثال ما هو موجود الآن، وبفضل النمو المتسارع للشركات التي تزود خدمة الإنترنت بشكل مجاني (في الدول المتقدمة) فقد قُدّر ارتفاع استخدام الشبكة خلال ١٩٩٩م بمقدار الثلث في أوربا مقارنة بنمو ١٠% في الولايات المتحدة . وأجرت صحيفة الجارديان البريطانية استطلاعاً تبين فيه أن ٣٧% من البالغين يستخدمون الإنترنت، وأن نحو نصف البالغين - (٢١) مليون - سينضمون إلى مستخدمي الإنترنت مع انتهاء عام ٢٠٠٠[١] .

وفي السعودية - مثلاً - وصلت نسبة الفئات الشابة المستخدمة للإنترنت إلى ٧٠%، ويوجد في الرياض - وحدها - نحو سبعة عشر مقهى للإنترنت وعشرة تحت التنفيذ[٢] .

---

(١) bbcarabic.com ٩٩/١٢/١٥

(٢) مجلة المعرفة، السعودية، ع/٥١ جمادى الآخرة ١٤٢٠هـ، ص١٥ .

وتستخدم الإنترنت حالياً في مجالات كثيرة كتبادل الآراء بين المجموعات والأفراد، والنشر الإلكتروني، والتجارة الإلكترونية، والتعلم عن بعد، والعمل من المنازل، والعلاج الطبي عن بعد، والبنوك الإلكترونية، ووسائل الاتصال الصوتي، وغير ذلك. وفي ما يخص نوعية المعلومات المتوفرة على الإنترنت فهي متنوعة في وسائطها ومحتواها ؛ فمن حيث **الوسائط الإلكترونية** ثمة النصوص والرسوم المتحركة والصور والتسجيلات الصوتية والمرئية . ومن حيث **المحتوى** ثمة معلومات في شتى المجالات الثقافية والسياسية والأدبية والعلمية والترفيهية، وحتى الإباحية، وهذا التنوع هو أحد مقتضيات بحثنا هذا .

لقد صاحب الفوائد المكتسبة من الإنترنت مشاكل واقعية، وأخرى محتملة (وشيكة أو بعيدة) ؛ مما جعل الكثيرين يعربون عن قلقهم إزاء هذه التقنية المثيرة غير المكبوحة باعتبارها غزواً ثقافياً جديداً يهدد "الخصوصيات" من الثقافات والقيم والتقاليد، بل ويهدد أمن المجتمعات . وتتنوع المشاكل بتنوع المعلومات ؛ فثمة **مشاكل أخلاقية** لعل أبرزها "الإباحية"، وهي إشكالية معقدة لما لها من تداخلات مع الثقافي والديني والاجتماعي والقيمي...، **ومشاكل اجتماعية** كفقدان بعض العاملين أعمالهم نتيجة ظهور نظم (الإنسان الآلي، تلقائية المكتب، النقود الإلكترونية، المعلومات المنزلية، الذكاء الصناعي ...) أضف إلى ذلك ما أحدثته الإنترنت من آثار سلبية على العمل والصحة والمسؤوليات الاجتماعية، بل إنها أثرت في تصورات الناس عن الذات البشرية !

وثمة **مشاكل قانونية** كانتشار جرائم جديدة تتطلب حلولاً ومعالجات قانونية (فيروسات الحاسبات – فقدان الملفات – القرصنة...)، وعمليات القرصنة هذه طالت الحكومات والمعلومات السرية الخاصة بها وبوزارات الدفاع والاستخبارات.. كما تم ابتكار طرق جديدة لارتكاب جرائم قديمة .

إن عالم الإنترنت لا حدود له، وأخطاره وفوائده بقدر امتداده، ويتركز خطره في أنه لا يخضع لإدارة شخص أو جهة محددة، وإنما يخضع لمجموعة من القوانين التقنية (فقط)؛ مما

يوفر الحرية (المطلقة) لبث جميع الأفكار عبر الشبكة مما قد يجمع من الفساد ما لم يجتمع في تاريخ العالم كله !

سنحاول في بحثنا هذا التركيز على واحدة من إشكاليات الإنترنت وهي "الإباحية" التي تعتبر أخطر تلك الإشكاليات لما يتجلى فيها من تشابك بين الثقافي والديني والاجتماعي والنفسي والصحي.. وهي وجه من وجوه فرض الثقافة والتصور الغربي للعلاقة الجنسية والأسرية، وهي - على أهميتها - لم تحظ بأي اهتمام من الحكومات العربية والإسلامية، وكذلك من المنتدى العالمي للإنترنت الذي عقد في القاهرة وكان الأول من نوعه في الشرق الأوسط وأفريقيا، واستقطب ٤٠٠ خبير عالمي يمثلون ١٥٠ دولة[١] بالرغم من أن الصحف الغربية أنفقت من قبل الكثير من الوقت والجهد وهي تتحدث عن الجنس والخلاعة الموجودة على الإنترنت [٢] .

ومع كثرة ما يكتب عن سلبيات الإنترنت في وسائل الإعلام فإن ذلك قد يعطي انطباعاً (أولياً) لمن لا يعرف الإنترنت أنها شبكة خاصة بالمواد الإباحية، وربما يساعد على تكوين تلك الصورة صدور تقرير (رم Rimm) من جامعة كارنيغي ميلون عن توفر المواد الإباحية على الإنترنت وشبكات المعلومات الخاصة الأخرى، ولقد لقي هذا التقرير - الذي نشرته مجلة (Time) ٣ يوليو ١٩٩٥م - انتقاداً واسعاً في دقته، واتهم بالمبالغة، وقد دلت بعض التقارير على أن المعلومات الإباحية لا تتعدى ١% على الشبكة، لكن تقرير (رم) كان أحد أسباب التشريع الأمريكي الأخير المسمى "بالأدب في الاتصالات" الذي يتعرض لمنع دخول الصغار للمواقع الإباحية، ومنع عرض صورهم الإباحية، ثم لم يلبث أن أُلغي بحجة أنه يمنع الكبار من الدخول إلى مواقع مسموح بها قانوناً [٣] .

---

[١] نُشر الخبر في ٢٠٠٠/٣/٧ / bbcarabic.com .

[٢] كما أشار إلى ذلك: بيتر كنت، الدليل الكامل إلى الإنترنت، الطريق الأسهل والأسرع إلى الإنترنت، ترجمة سامح الخلف، الدار العربية للعلوم، ط١، ١٩٩٧، ص ٢٦٧ .

[٣] انظر : بدر بن حمود البدر، عبد العزيز الزومان، ضبط استخدام الإنترنت : لماذا وكيف ؟، بحث مقدم للمؤتمر الوطني الخامس عشر للحاسبات الآلية، السعودية، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن وجمعية الحاسبات السعودية،

وربما يقع في مثل هذا الوهم القارئ لبحثنا هذا ؛ لكونه يركز على الإباحية لضرورة منهجـــية، لكـــن ذلـــك لا يقلل من حجم المشكلة المطروحة، وتطبيقاً لذلك أجرينا بحثاً بواســـطة محرك البحث في موقع (yahoo) وغيره عن مواقع تحمل كلمات ذات دلالة جنسية فكان الناتج ما يلي :

(الجنس) sex ⟸ ١,٢٨٠,٠٠٠ موقع .

(جنس الأطفال) Sex baby ⟸ ١,٠٧٢,٠٠٠ موقع .

(الرقيق الأبيض) white slave ⟸ ٢,٥٠٠,٠٠٠ موقع .

وفي تجـــربة حية مثيرة تمت على شاشة تلفزيون C B S قامت الصحفية كيرا فيليبس بانتحال اسم ريتشارد ألن دايفز – وهو من القتلة الشواذ – واتصلت بإحدى الشركات في موقعها على الشبكة طالبة تزويدها بأسماء أفراد يسهل الوصول إليهم وتحديد الأوقات المناسبة للاختلاء بهم، و لم تمر سوى لحظات قليلة وكان أمامها قائمة بأسماء (٥٠٠٠) فرد مـــع عناوينهم الكاملة وأوصافهم وحالتهم الاجتماعية وماذا يحبون وماذا يكرهون، كل ذلك مقابل (٣٠٠) دولار دفعتها بالنقد الإلكتروني Electronic money [1] .

إذن نحـــن أمام إشكالية حقيقية، يتفاوت حجم خطورتها بين مجتمع وآخر لأسباب كـــثيرة أهمهـــا الإمكانات الاقتصادية في كثير من الدول العربية، ومدى الخبرة المكتسبة للدخول إلى عالم الانترنت، وحدود الحرية المتاحة على الإنترنت في عالمنا العربي ، إلى غير ذلـــك من الأسباب، ولكنها جميعاً يمكن التغلب عليها مستقبلاً بحيث يسهل الدخول إلى عالم الإباحية على الإنترنت مما يجعلنا إزاء خطر حقيقي يهدد (أو سيهدد) أمن مجتمعاتنا وقـــيمها، ونحـــن هـــنا لا ننكر أن الخطر موجود قبل الإنترنت (ومن دونها) من خلال الفضـــائيات الهائلة المتاحة بسهولة كبيرة، وكذلك من خلال المجلات والصحف النسائية

١٧- ١٩، نوفمبر ١٩٩٧م، ص٣٤٩، وحسني عبد المعز عبد الحافظ، هجمة صهيونية عبر الإنترنت، مقال منشور في مجلة الجندي المسلم، ع/٩٩ سنة ٢٠٠٠، ص٨٧.

[1] حسني عبد المعز، هجمة صهيونية عبر الإنترنت، (م.س)، ص٨٨ .

الكبيرة المتزايدة في العالم العربي والتي تمتلئ بالصور الإباحية، أضف إلى ذلك بيوت وشبكات الدعارة المنتشرة والآخذة في الازدياد في دول الخليج خاصة وفي باقي الدول عامة، وتتنوع جنسيات العاملات في هذه المهنة ما بين عربيات وأجانب (خاصة من روسيا وغيرها) .

لكن المشكلة في الفضاء الإلكتروني تكتسب أبعاداً أخرى حيث بإمكانك أن تختلي مع هذا الجهاز الصغير طوال يومك دون أي توجس، وهو مع ذلك أقل كلفة وأكثر تنوعاً وأبعد عن رقابة المجتمع، بل إنك في عالم الإنترنت تستطيع أن تخفي الكثير من أسرارك الشخصية مما يجعلك في وضع أكثر أماناً .

إن ذلك من شأنه أن يبرر ضرورة حجب المعلومات غير المرغوب بها، والبحث في كيفية الحجب ووسائل العلاج والوقاية .

مشكلة حجب المعلومات عالمياً :

ويجب التنبيه إلى أنه لا يقتصر الاهتمام بضبط استخدام الإنترنت على المجتمعات المحافظة فقط، فثمة جهات كثيرة عالمية وضعت ضوابط لاستخدام الإنترنت كجامعة كارنيغي ميلون وأكسفورد حيث منعت الأخيرة مجموعات إخبارية إباحية، وكذلك قامت شركة الهاتف الألمانية بقطع الخطوط الهاتفية الخاصة بمقدم خدمة أمريكي لحمله مواد دعائية للنازية، يذكر أن هذه المواد تنشر في دول تعتبر تلك المعلومات قانونية، وقد دعا البرلمان الأوربي إلى تحرك عالمي لضبط تبادل المواد الإباحية والعنصرية على الإنترنت، وكان مما دعا إليه تكوين "شرطة إنترنتية"، ووضع اتفاقيات دولية لمحاكمة من يسيؤون استخدام الإنترنت، وأكد على ضرورة تحديد معايير محددة للمواد غير المرغوب بها .

وفي ماليزيا يشترط لمن يستخدم الإنترنت أن يكون فوق سن٢٥ سنة، وإلى وقت قريب كانت الصين تمنع مواطنيها من الوصول إلى مواقع الصحف والأخبار العالمية خارج الصين مثل موقع (C N N)، كما أن استخدام الإنترنت يتطلب تصريحاً من الشرطة . وفي الإمارات تم تشكيل لجنة من الشرطة ووزارة الإعلام ومؤسسة الاتصالات وجامعة

الإمـــارات لوضع استراتيجية قومية لأغراض استخدام الإنترنت، وطلبت شرطة دبي علناً بـــرقابة أفضـــل عـــلى الإنترنت ؛ مما أدى إلى وضع خادم مفوض (Proxy Server) . وقد انتهجت البحرين أسلوباً مماثلاً لذلك .

وفي ســـنغافورة تصنف الإنترنت كغيرها من وسائل البث الإعلامية مما يجعل "الرقابة الإعلامية" تطبق عليها عند نشر معلومات سياسية أو دينية [١] .

لكـــن يجب أن نلفت النظر إلى أن مشكلة الحجب هذه تلحظ بالدرجة الأولى منع الأطفـــال مـــن الدخول إلى المواقع الإباحية، وتلحظ بالدرجة الثانية القضايا السياسية في الدول ذات الأنظمة الأحادية .

---

[١] انظر : بدر البدر، عبد العزيز الزومان، ضبط استخدام الإنترنت...، (م.س)، ص٣٥٢ –٣٥٣ .

المبحث الأول : نشأها وخواصها

ليس من اهتمامات بحثنا أن نفيض في الكلام على الإنترنت ونشأها وتطورها وأنظمتها وخصائصها وكيفيات التحكم بها وآليات عملها ونظمها إلى آخره، لكن منهجية البحث تفرض علينا أن نتناول طرفاً من ذلك بما يتناسب مع حجم البحث، وفائدة المعلومة .

"الإنترنت" هي شبكة حاسب هائلة تربط شبكات حاسبات موجودة في جميع أنحاء العالم، لذا فإنها شبكة الشبكات[1]، ولتوضيح ذلك نقول : "الإنترنت" هي مجموعة "ضخمة" من الكمبيوترات المنتشرة عبر العالم، وترتبط مع بعضها بخطوط هاتفية يتم من خلالها تناقل المعلومات (بأشكالها المختلفة)، وتتفاهم هذه الكمبيوترات فيما بينها بلغة خاصة تسمى "بروتوكول"، والإنترنت هي اختصار لـ Inter Network .

أولاً: نشأها :

صُممت الإنترنت لأول مرة في عام ١٩٦٩م لغرض استغلال المعلومات المتوفرة في حاسوب وزارة الدفاع الأمريكية من قبل أقسام الوزارة المتعددة والمختصة بالأمور الأمنية للبلاد، وتطورت هذه المنظومة من الإنترنت خلال السبعينيات والثمانينيات قبل توقفها عن العمل في عام ١٩٩٠م . وفي عام ١٩٨٦ أنشأت مؤسسة العلم القومية الأمريكية National Science Foundation شبكتها ليستفيد منها الباحثون في شتى التخصصات العلمية، ثم تطور ذلك إلى تنوع شامل لتوزيع المعلومات التي تستخدمها المؤسسات العلمية والمكتبية لغرض تعميم فائدتها على أكبر عدد ممكن من الباحثين وعموم الناس .

وأصبحت الإنترنت الآن مكتب بريد، وسوقاً تجارية، ومكتبة ومخزون برمجيات، ووسيلة تعليم وثقافة وقراءة صحف ومجلات، ومراكز حوار فكري وعلمي بين الفئات

(1) ريتشارد روسينبرج، التأثير الاجتماعي للحاسبات، (م.س) ص١٤٧ .

المخــتلفة في عدة أمكنة من العالم، كل ذلك باستخدام النص الكتابي والصوري والصوتي (الأوساط المتعددة) Multimedia من على شاشة مرئية تشبه شاشة التلفاز[١] .

ثانيًا: خواصها :

مــن أهم خواص الإنترنت[٢] تعدد مواقع المعلومات، وإمكانية إخفاء الهوية، وانعدام الملكــية والــتحكم المركزيين، والتفاعل، والعالمية، فهي (عالمية) بطبيعتها ؛ إذ تتكون من حاسبات في شتى أرجاء العالم، ويستطيع المستخدم في أي مكان الدخول إلى معلومات في أي حاسب على الإنترنت، بمعنى أن ثمة حرية مطلقة في تداول المعلومات بتنوع مصادرها وشكلها ومحتواها .

وهــي إلى ذلك (متفاعلة)، بمعنى أن المستخدم هو الذي يطلب المعلومات بالتحديد، ولا تأتي إليه رغماً عنه إلا في أحيان قليلة، وبإمكانه التخلص منها بيسر .

ومــن أهم خواص الإنترنت وأخطرها عدم وجود جهة منظمة لها أو مسؤولة عنها، ويكــاد يكون التنظيم الوحيد للإنترنت هو في تحديد بروتوكولاتها وبرمجياتها وفي توزيع عناوينها.. فإن لكل موقع مرتبط بالإنترنت مسؤولية إدارة أجهزته ومستخدميه . إن هذه الخصائص تؤثر على سبل التحكم في الإنترنت والتي سنتعرض لها قريباً .

---

[١] انظــر : ريتشارد، التأثير الاجتماعي، (م.س) ص١٤٧– ١٤٨، ود. شذى سلمان الدركزلي، الإنترنت : ثروة المعلومات والثقافة والتعليم (وسائلها الثقافية وتطوراتها المستقبلية) مقال منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث ع/١٦ شوال / مارس ١٩٩٧م، ص٣٥، ود. عبد العزيز الزومان، د. بدر بن حمود البدر، شبكة الإنترنت، بحث مقدم إلى مركز مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الإدارة العامة للمعلومات، د.ت، ص٣،٢ .

[٢] انظــر : بدر بن حمود البدر، عبد العزيز بن حمد الزومان، ضبط استخدام الإنترنت : لماذا وكيف؟ (م . س) ص٣٤٣.

المبحث الثاني : محتوياتها ومخاطرها

أولاً: محتوياتها :

تتعدد أنواع ومجالات المعلومات المتوفرة على الإنترنت بتعدد نوعية واهتمامات واختصاصات مستخدميها، فمنها الإعلامية والتجارية والأكاديمية والطبية والاجتماعية والصناعية والزراعية والسياسية والترفيهية .

واستخدام الإنترنت لا يحتاج إلى جهد كبير ؛ فبإمكان أي شخص استخدامها بسهولة.

وبخصوص نوعية المعلومات وأشكالها فهي متنوعة أيضاً، فهي تشتمل على جميع الوسائط الإلكترونية مثل النصوص والرسوم المتحركة والصور والتسجيلات الصوتية والمرئية .

ثانيًا: مخاطرها:

إن أهم مخاطر الشبكة أنها لا يملكها أحد ولا تخضع لرقابة أحد ؛ لأنه من الصعب جداً التحكم بالمعلومات المتوفرة ؛ لما تتمتع به الشبكة من الخصائص التي ذكرناها وأهمها (العالمية) . وتتنوع هذه المخاطر فمنها **الصحي العضوي** فالإدمان على الجلوس أمام الشاشة الصغيرة، والاقتصار على استخدام اليدين فقط يسبب مشاكل قد يُتغافل عنها وكذلك التعرض لجرعات من الأشعة التي تبثها الشاشة الصغيرة[1]. **ومنها القيمي، ومنها الثقافي** وتهديد الخصوصيات والهويات، وهذا ما أقلق فرنسا نفسها فتمسكت بحقها في الحفاظ على هويتها الثقافية في مؤتمر بروكسل ١٩٩٥م[2]، ومنها **المخاطر الاجتماعية** وأثرها في العلاقات الأسرية، خاصة بسبب إقامة بعض المستخدمين علاقات غرامية غير شرعية من خلال الإنترنت، الأمر الذي أثر في العلاقة الزوجية ؛ مما نشأ مصطلح "أرامل

---

[1] انظر : د. شذى الدركزلي، الإنترنت، (م.س) ص٤٢.

[2] انظر الإشارة إلى ذلك : بهاء شاهين، شبكة الإنترنت، ط٢، ١٩٩٦، ص٢١٣.

الإنترنت" Cyber widows ويعترف ٥٣ % من مدمني الإنترنت بأن لديهم مثل تلك المشاكل[١].

[١] وذلك طبقاً للدراسة التي نشرتها كيمبرلي يونج أستاذة علم النفس بجامعة بيتسبرج في برادفورد بأمريكا في مؤتمر مؤسسات علماء النفس الأمريكيين المنعقد في عام ١٩٩٧م . انظر: د. نادية العوضي، مرض العصر..إدمان الإنترنت، مقال منشور على موقع islam- onlin.net (علوم وتكنولوجيا) .

المبحث الثالث : كيفية التحكم بها

إن بنـــية الإنترنـــت وخصائصها هي المحدِّد الرئيس لطرق ضبط استخدام الإنترنت، لكن لماذا نضبط الإنترنت ؟ وكيف نضبطها ؟

ســـبق أن قلـــنا : إن المعلومات المتوفرة على الإنترنت متنوعة، ومن ثم فإن أسباب الـــتحكم في تلك المعلومات متنوعة، وكذلك المعلومات المراد التحكم بها متنوعة أيضاً، لكن سبل التحكم مشتركة "ومن أنواع المعلومات المتوفرة على الإنترنت والشائع التحكم فيها : الإباحية من صور وكلام وأصوات، وطرق التخريب وارتكاب الجرائم، والمعلومات التحريضـــية العنصـــرية، والإلحاد والكفر والملل، والمعلومات الضارة بالأطفال، والقذف والســـب، والمعلومـــات الكاذبـــة، والدعاية التجارية المضللة والغش والتدليس التجاري والتعدي على حقوق النشر، ولكي تكون وسيلة التحكم والحجب فعالة ولها تطبيق واسع فإنـــه يجب أن تكون منفصلة عن نوع المعلومات المراد حجبها بحيث يمكن لجهات مختلفة، لها متطلبات حجب مختلفة أن تستخدم نفس وسيلة الحجب، ولكن لمنع مواد مختلفة"[٢].

إن الـــتحكم في الإنترنـــت له جانبان : أولهما : تحديد الضوابط، وثانيهما : وضع الضـــوابط موضـــع التنفـــيذ، وهـــناك اتجاهـــان للتأكد من تنفيذ هذه القوانين، ويمكن اســـتخدامهما معاً . يركز الأول على مسؤولية الجهة المشرفة على تقديم خدمة الإنترنت بالقيام بترشيح المعلومات والتأكد من عدم تسرب معلومات غير مرغوب فيها إلى المنطقة المخدومـــة، أمـــا الاتجاه الآخر فيتركز على وضع المسؤولية على المستخدم مع قيام الجهة المشرفة بالرقابة والتأكد من عدم الإخلال بالضوابط المعلوماتية [٢].

[٢] بدر البدر، عبد العزيز الزومان، ضبط استخدام الإنترنت، (م.س) ص ٣٤٩ .

[٢] المصدر السابق، ص٣٤٥، ٣٥١ وأفدنا منه في كتابة مبحث (كيفية التحكم بالإنترنت) فسنكتفي بالإشارة إليه هنا فقط.

١- قوانين وسياسات التحكم :

لا يوجـــد على الإنترنت قوانين عامة تحكم طريقة استخدامها، وفيمَ تستخدم، لكن الكثير من الدول والجهات المرتبطة بالإنترنت (المنظمات) تضع ضوابط خاصة بها . تشتمل تلك الضوابط - في الغالب - على ما يأتي :

١/١ : الضوابط المعلوماتية :

تحدد هذه الضوابط كيفية التعامل مع المعلومات المحظورة من جهتين :

الأولى : ضوابط الإطلاع على المعلومات المحظورة والتصرف بها .

الثانـــية : ضـــوابط بث المعلومات المحظورة وتقوم المنظمة بتعريف ماهية المعلومات المحظورة مع سرد بعض الأمثلة العامة .

١/٢: ضوابط الاستخدام المسموح :

تحـــدد هذه الضوابط الاستخدامات المسموح بها، والتي تتمشى مع سياسة (المنظمة) مع ضرب بعض الأمثلة لذلك، والهدف من هذه الضوابط تشجيع الاستخدامات المسموح بها .

١/٣ ضوابط الاستخدام الممنوع :

تحـــدد هـــذه الضوابط الاستخدامات الممنوعة، والتي لا تتمشى مع السياسة العامة للمنظمة وقوانين الدولة كالاستخدامات التي تضر بالغير وغيرها .

١/٤ التزامات المستخدم :

تحدد هذه الفقرة ما هي التزامات ومسؤوليات المستخدم جراء استخدامه للإنترنت، ومنها الالتزام بالقوانين الخاصة بالشبكات وغير ذلك .

١/٥ مشكلة حجب المعلومات :

لا يقتصـــر الاهتمام بضبط استخدام الإنترنت على المجتمعات المحافظة فقط وسبق أن تناولـــنا مشـــكلة الحجب في التمهيد، ولكن يمكن القول : إن الحجب في أغلب الدول ينصبّ على منع الأطفال من الدخول على المواقع الإباحية .

٢- ترشيح المعلومات :

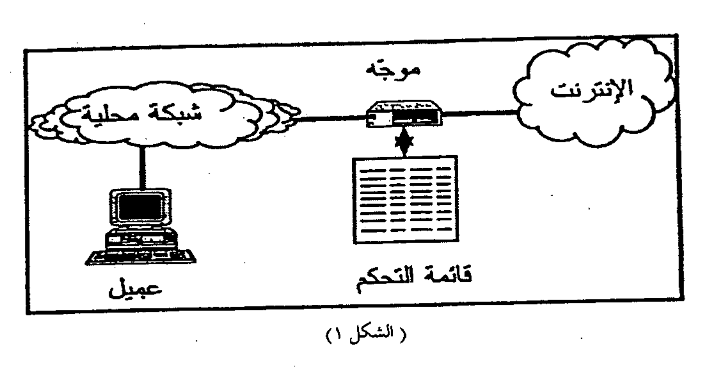
ترشـــيح المعلومـــات هـــو مـــنع المعلومات غير المرغوب فيها التي تخالف الضوابط المعلوماتية . ولترشيح المعلومات لا بد من تحديد المستوى الذي سيتم عنده الترشيح : على مستوى الحزم المعلوماتية، أو على مستوى التطبيقات، ويمكن استخدامهما معاً في الوقت نفســـه . ويجـــب أيضاً تحديد مكان التحكم : هل توضع وسائل الترشيح والتحكم لدى أجهـــزة خدمات الشبكة أو لدى أجهزة العملاء ؟ وللترشيح عدة طرق وسنحاول إيجاز هذه المسائل كلها في الآتي .

١/٢ مستوى ترشيح المعلومات :

يمكـــن إرســـال المعلومات على الشبكة من خلال عدة مستويات، وكذلك يمكن ترشـــيح هـــذه المعلومات عند مستويات مختلفة، وأشهر تلك المستويات : مستوى الحزم المعلوماتية Packet Fil Terning والخادم المفوض Proxy Server .

أ- ترشيح الحزم المعلوماتية :

يتم نقل المعلومات الكبيرة على شكل حُزم، كل حزمة مستقلة بذاتها في عملية النقل. تحتوي كل حزمة على عنوان المرسل والمستقبل، ويقوم كل موجّه ROUTER تمر من خلاله حزمة المعلومات بفكها والتعرف على عنوان المرسل والمستقبل، ثم يوجهها إلى الاتجاه المناسب أو يوقفها . وكل موجه يمكن أن يحتوي على قائمة بعناوين الجهات التي يمنع أو يسمح الوصول إليها .

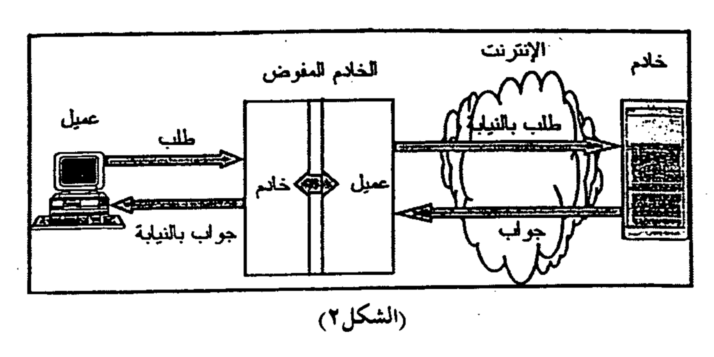


(الشكل ١)

وتعتبر تقنية ترشيح الحزم المعلوماتية مجدية وفعالة للتحكم بتدفق المعلومات، ولا تتطلب أي تجهيز في برمجيات العميل، وتعمل بغض النظر عن نوع البروتوكول المستخدم أو التطبيق، وهي غير ملموسة من قبل المستخدم، وإن قرار منع أو السماح بمرور حزمة معلوماتية مبني على عنوالها فحسب للمرسل والمستقبل والخدمة، ويتم ترشيح الحزم بمقارنتها بقائمة تحتوي على العناوين والخدمات الممنوعة والمسموح بها .

ب- الخادم المفوض :

الخادم المفوض هو برنامج تمر من خلاله جميع الحزم المعلوماتية التي تنتقل بين شبكتين (شبكة محلية وشبكة الإنترنت)، وبهذا يمكن التحكم في عمليات الاتصال من وإلى الإنترنت ومراقبتها، لكن لا بد من أن يرافق هذا التجهيز طريقة لمنع الاتصال بين الشبكتين إلا من خلال الخادم، ويتم ذلك عادة باستخدام تقنية ترشيح الحزم المعلوماتية المتوفرة على الموجهات .



(الشكل٢)

ويمـتاز هـذا الخـادم بأنـه أبطأ نسبياً من ترشيح الحزم المعلوماتية، ومحسوس من المستخدمين، ويتطلب جهداً لإدارته، وثمة عدد محدود من التطبيقات التي يوجد لها خادم مفوض، لكن تطبيق النسيج العالمي (WWW) يعمل جيداً مع الخادم المفوض . وحيث إن الترشـيح باستخدام الخادمات المفوضة يعرف نظام المحاكاة المستخدم لكل تطبيق فإنه بالإمكـان إضافة تحكم أكثر على مستوى التطبيق كمنع مرور ملفات معينة أو كلمات معينة .

٢/٢ : طرق ترشيح المعلومات :

تتـنوع طرق ترشيح المعلومات تبعاً لتنوع أشكال المعلومات المتوفرة على الإنترنت (نـص، صـورة، صوت، فيديو) ولتنوع نوع الخدمة (ملف، رسالة إلكترونية، مجموعة إخبارية، صفحة معلوماتية، قواعد معلومات)، من هذه الطرق :

ج- الترشيح عن طريق قائمة بالمواقع السيئة أو الجيدة :

تُنشـأ قائمة بالمواقع غير المرغوب بالاتصال بها والتي يُسمح بالاتصال بما سواها، أو باستخدام قائمة المسموح بها، والمنع من الاتصال بما سواها، ومن خلال هذه القائمة يقوم جهـاز الـتحكم (الموجه) أو برنامج التحكم (الخادم المفوض) بضبط عملية الوصول إلى المعلومات أو الخدمات .

ويمكن أن تكون هذه القائمة مجموعة من عناوين الشبكة، وقد يضاف إليها نوع من الخدمـة، وفي حالة استخدام الخادم المفوض يضاف مكان المعلومة (اسم الملف أو صفحة

المعلومات)، لكن لا بد من تحديث القائمة بشكل دوري (يومي أو أسبوعي) بسبب طبيعة الإنترنت المتغيرة واللامحدودة فهي تشهد يومياً ظهور مواقع واختفاء أخرى ؛ مما يحتاج إلى جهد كبير، أضف إلى ذلك كثرة المواقع المراد حجبها . ومن المهم أن نذكر هنا أن أكثر تقنـيات الترشيح فعالية مبنية على عناوين المواقع، وليس على المحتوى . وثمة طرق لإنشاء قائمة بالمواقع المراد حجبها منها :

الطريقة الأولى : اعتماد محرك البحث على الإنترنت مثل ياهو وغيره بالبحث عن عبارات عادة ما تصاحب المعلومات المراد حجبها، لكن ثمة مساوئ لهذه الطريقة هي:

١- البحث الآلي لا يفرق بين المواقع المؤيدة للإباحية والمناهضة لها ومن ثم قد يصنف كلا النوعين في المواقع الإباحية .

٢- تعـددت معاني الكلمة الواحدة في اللغات العالمية فكلمة "جنس" تعني النوع، أو الذكورة والأنوثة، أو الإباحية وغير ذلك .

٣- تـتحايل بعض المواقع الإباحية باستخدام كلمات مرجعية لا علاقة لها بمضمون "الإباحية" .

٤- قد لا يتم التعرف على المواقع لاختلاف لغة البحث عن لغة الموقع.

٥- لكـن المـلحوظ علمـياً أن كثيراً من المواقع السيئة تضع عمداً قائمة كبيرة من الكلمات المرجعية في الصفحة الأولى للموقع، والتي تدل على محتوى الصفحة بهدف تيسير الحصول عليها .

الطريقة الثانية :

وتعـتمد عـلى الاشتراك مع شركات تقوم برصد وتصنيف المواقع المشبوهة على الإنترنت، لكن قد تكون هذه القائمة لا يمكن استخدامها إلا مع أجهزة الشركة المنتجة، ومن الصعب تكامل هذه القائمة مع القائمة المعدة سابقاً من قبل المشترك .

د- الترشيح عن طريق التصنيف المسبق للمواقع :

قامت عدة جهات بإعداد مواصفات لتصنيف محتويات صفحات المعلومات التي تُنشر على الإنترنت عن طريق جهة محايدة أو الجهة الناشرة ذاتها . ويحظى هذا المبدأ بشعبية كبيرة في الدول الغربية لكن هذه الطريقة تنطبق على صفحات المعلومات (النسيج) فقط . ومن أهم التحديات التي تواجه هذه الطريقة : عدم وجود تصنيف متفق عليه عالمياً وإمكانية الثقة بناشري الصفحات لتقديم صفحاتهم في ظل غياب قانون دولي ملزم، وكثرة المواقع بحيث قد لا تستطيع جهة محايدة تغطيتها .

ذ- الترشيح عن طريق التصنيف الآلي المباشر :

يقوم الخادم المفوض باختبار محتويات صفحة المعلومات عند استقبالها عن طريق المقارنة بين محتوياتها وبين قائمة المصطلحات التي تحدد نوعية المعلومات . لكن هذه المقارنة تتم بالمحتويات النصية فقط، أما سواها من الصور والتسجيلات الصوتية والمرئية فلا يمكن تصنيفها بسبب عدم وجود وسيلة موثوق بها إلى الآن للبحث في محتواها .

٣/٢ : مكان التحكم في نوعية المعلومات :

بما أن التطبيقات على الإنترنت مبنية على تقنية نظام الخادم / العميل فيمكن وضع وسائل ضبط المعلومات إما عند الخادم أو العميل أو كليهما.

أ- التحكم لدى الخادمات :

يتم التحكم في نوعية المعلومات المسموح بها عن طريق خادم مركزي يتم من خلاله فقط التعامل مع الإنترنت باستخدام إحدى طرق ترشيح المعلومات .

ب- التحكم لدى العميل :

يتم التحكم بنوعية المعلومات المسموح الوصول إليها باستخدام تطبيقات معينة توضع في جهاز المستخدم، وعادة ما تكون هذه التطبيقات تابعة لبرامج استعراض الشبكة، وتحتوي على قائمة بعناوين المواقع غير المرغوب فيها، وأحياناً يضاف إليها إمكانية إيقاف

البحـــث باســـتخدام تعبيرات معينة غير مرغوبة، ويتم تحديث بيانات الحجب عن طريق الإنترنت بالاشتراك مع الشركة المنتجة لهذه التطبيقات .

وتستخدم هذه الطريقة عادة مع المستخدمين غير المتمرسين كالأطفال أو في الأماكن العامة التي تخضع لسيطرة مركزية كالمكتبات والمدارس .

٣- الرقابة على المستخدمين :

تحدثـــنا ســـابقاً عن مسؤولية الجهة المشرفة على تقديم خدمة الإنترنت حيث تقوم بترشيح المعلومات وفق ضوابط معلوماتية ثم التأكد من عدم تسرب معلومات غير مرغوب فـــيها والآن لا بد من الحديث في الاتجاه الآخر، والذي يتركز على وضع المسؤولية على المستخدم مع قيام الجهة المشرفة على الخدمة بالرقابة والتأكد من عدم إخلال المستخدمين بالضوابط المعلوماتية .

إنـــه باستخدام الخادم المفوض يكون هناك سجل آلي بالمواقع والأجهزة الداخلية التي وصلت إليها، ويصبح سهلاً معرفة المواقع التي يدخل عليها بكثرة، ويعرف أي جهاز دخل على ذلك الموقع .

وفي حالة عدم استخدام الخادم المفوض يمكن وضع أجهزة على الشبكة تعاين حركة المـــرور عليها وتسجل المواقع التي وصل إليها، والأجهزة التي استخدمت للدخول، ويجب قبل ذلك توعية المستخدم بضوابط الاستخدام .

الفَصْلُ الثَّانِي

الإباحية .. مرجعيتها الفكرية وآثارها

المبحث الأول : درجاتها وأشكالها ووسائلها

أولاً: بيان المصطلح :

"الإباحية " (Obscenity) من الفعل : أباح يبيح إباحة، وفي النسبة يقال : إباحي وهو الذي يكثر من الإباحة، أو يرى الإباحة، بمعنى أنها مذهبه . والإباحة مصطلح شرعي أصولي قديم ورد على لسان الثوري والشافعي (٢٠٤هـ) وغيرهما [١]. وعكسه "الحظر"، والاسم من "الإباحة" "مُباح" وهذا يقتضي أن يكون ثمة مصدر للإباحة وهو - في الإسلام- الشرع .

لكن كلمة "الإباحية" لم تكن مستعملة سابقاً، وإنما شاعت في العصر الحديث للدلالة على المواقع التي تتعرض "للجنس / الزنا" على الخصوص، وفي بعض الأبحاث تم استعمال مصطلح "المعلومة غير المرغوبة" وهي "معلومة صنفت من قبل جهة ما أنها غير مناسبة لمجتمع ما، إما لمحتواها أو شكلها، ومن أمثلتها الصور الإباحية في المجتمعات المحافظة" [٢] .

وثمة اضطراب في تحديد مدلول "الإباحية"، فمع أن أغلب دول العالم ترفض ما يسمى "الإباحية" فإن تعريفها يتعدد لديهم حيث إن ثمة أنواعاً من "الإباحية" - وفق منظورنا - محمية قانونياً في بعض البلدان، وذلك أن مقاييس المجتمعات ومرجعياتها تختلف وهو ما سنعرض له لاحقاً . لكن يمكن أن نضع تعريفاً لمصطلح "الإباحية" من الوجهة الشرعية وهو : استباحة ما حرَّم الله . وهو بهذا يشمل "الزنا" وغيره من المحرمات كاللواط والسحاق والتبرج .. وهي كلها مصطلحات شرعية .

---

[١] انظر مثلاً : الشافعي، الرسالة، تح . أحمد محمد شاكر، القاهرة، د . ط، ١٩٣٩م، ص ٢٩٨ .

[٢] بدر البدر، عبد العزيز الزومان، المؤتمر الوطني، (م.س) ص٣٤٥ .

ثانيًا: درجات الإباحية وأشكالها :

إن الفحش والدعارة في الإنترنت يمكن أن يتخذ أشكالاً مختلفة لا حصر لها، بعضها صريح وواضح مثل المجموعات الإخبارية News Groups أو المجموعات الأخرى المختصة بهذه الموضـــوعات مثل البلاي بوي والبنت هاوس Pent House، وبعضها الآخر يصعب كشف هويتها مثل المكتبات السرية المعروفة لتجار المواد الإباحية دون غيرهم .

وثمة خدمات جنسية حية تقدم من خلال الفيديو الفوري تلبي من خلالها النساء كل ما يوجَّه إليهن من أوامر من جانب المشاهدين الذين يدفعون ثمن هذه الخدمة .

إن حظـــر المجموعات الإخبارية الإباحية الظاهرة أمر يبدو سهلاً، لكن ذلك ربما يدفعها إلى اتخاذ أشكال أخرى مقنعة مما يصعب معه ملاحقتها [١] .

ثالثًا: وسائلها :

تتـــيح الإنترنـــت عدة خدمات للمشتركين كالبريد الإلكتروني وهو من أكثر تلك الخدمـــات استخداماً ؛ إذ يمكّن من تبادل الرسائل الإلكترونية في أماكن مختلفة من العالم باستخدام الحاسب الآلي بسهولة وسرعة لا تقارن بالبريد العادي . ويمكن من خلال البريد الإلكـــتروني إرســـال النصوص والصور والتسجيلات الصوتية والفيديو باستخدام أنظمة خاصة للصور لأنها ذات أحجام كبيرة .

ومن تلك الخدمات "القوائم البريدية"، وهي التي تتيح التواصل بين مجموعة كبيرة من الأشخاص، فلكل قائمة عنوان بريدي ترسل إليه الرسائل الإلكترونية، ومن ثم يتم توزيعها آلياً على المشتركين في القائمة، ويتم الاشتراك أو الانفصال عن هذه القوائم بإرسال طلب إلى العنوان الخاص بها .

ومـــن الخدمات أيضاً المجموعات الإخبارية وشبهها بعضهم بلوحة إعلانات ضخمة تمتد على امتداد شبكة الإنترنت ويستطيع أي مشترك فيها نشر مقالات أو قراءة المقالات

---

[١] انظر : شاهين، شبكة الإنترنت، (م.س) ص٢٠٦ .

المنشورة عليها . ويتوفر عدد هائل من هذه المجموعات وهو يتزايد باستمرار، وثمة مجموعة إخبارية لأي موضوع يخطر على البال .

ومـــن الخدمـــات المهمة على الإنترنت "التحاور الإلكتروني" الذي هو بمثابة الهاتف المباشر .

إن تلـــك الخدمـــات كـــلها يمكن أن يتم من خلالها تداول "الإباحية" بالصوت أو الصـــورة أو الكـــلمة . وقد أثبت استطلاع – نشرته "BBCARABIC.COM" بتاريخ ١/٨/ ٢٠٠٠ – عـــن غـــرف الدردشة العربية أن رواد تلك الغرف هم – في الغالب – من الشـــباب العربي بين ١٥- ٢٤ سنة الذي يجيد اللغة الإنجليزية، وأن أغلبية الحديث الذي تشـــهده الغـــرف يدور حول الجنس ومصاعب الزواج في دول الخليج خاصة ؛ بسبب ارتفاع المهور وندرة الوظائف، وتجدر الإشارة إلى أن من المواقع العالمية التي تتيح "الحوار الإلكتروني" مايكروسفت وياهو وآي سي كيو وأرابيا أون لاين .

المبحث الثاني : تصورات الجسد والجنس في العصر الحديث [1]

كان القرن التاسع عشر قرن الحب الرومانسي، وكان شعاره "الحب يجعل العالم يدور"، ورؤيته الجوهرية أنه لا يوجد ما هو أهم من عاشقين يعيشان في سعادة، وكانت الأعمال الأدبية حافلة بذلك، وحين تجرأ "فلوبير" على كتابة "مدام بوفاري" حظي بنقد عنيف كما حدث مع "إبسن" حيث كتب "بيت الدمية" وكان جوهر رسالتها أن "كل هذا الحب الرومانسي كذبة سخيفة، فالحياة قد خلقت لما هو أهم من ذلك بكثير "، لكنه لم يقل – في حينها – ما هو ذلك الأهم !

ثم بدأت ثورة التحرر الجنسي تشق طريقها بصعوبة في البداية، ولكن بخطوات متدرجة ومتصاعدة . ولما جاء "لورنس" تحدث بصراحة عما يراه أهم ما يمكن أن يحدث للرجل والمرأة – وهو (الجنس) – وذلك يبدو واضحاً في "عشيق الليدي تشاترلي"، وقد صدم "جيمس جويس" الكثيرين ببذاءة "عوليس"، وكان يوماً مشهوداً وتحولاً مهمًا حين سمح القانون بالنشر العلني لهذه الرواية سنة ١٩٣٠م .

ثم تطور الأدب الذي يتناول موضوع الجنس والجسد حتى وصل إلى الإغراق في تفاصيل العنف ومشاهد الدم وعدم ترك شيء لمخيلة القارئ كما كان يفعل "لورنس" وغيره، كما حدث تطور هائل في "صناعة المعاني " وأدواتها فنشأت ثقافة "الصورة" التي طغت بعد ذلك بأسلوب تعبيرها عن الجنس وعرضها للجسد، فهي تقوم على الإبهار البصري باستخدام أحدث التقنيات في خلق واقع أبهى من الحقيقي، وأصبح الجسد في العالم صورة . وقد أثرت ثقافة الصورة هذه على الخيال الذي أصبحت وظيفته – في

---

[1] وجدنا من المفيد أن نعرض لهذا المبحث التاريخي في تحول المفاهيم والتصورات التي تتصل اتصالاً وثيقاً بموضوعنا "الإباحية "، وقد قدَّمنا في هذا المبحث خلاصة دراسة مطولة كتبها : أحمد عبد الله، تصورات الجسد والجنس .. كيف تحولت من رمز لعالم المادة السفلي .. إلى ممارسة الجنس الإلكتروني في عصر الإنترنت، مجلة وجهات نظر، ع/١٢ يناير ٢٠٠٠، ص ٢٨ .

الغالب - لا تتعدى إعادة إنتاج وفك وتركيب صور رآها من قبل، وبهذا تم الانتقال - في تاريخ الجنس - من الأدب المكشوف إلى الصورة المشخصة .

ومع انتشار ثقافة الصورة تزايدت فنون صناعة الجسد وفنون الاهتمام باللذة الجنسية ومستلزماتها، يظهر ذلك من خلال التطور الهائل في فنون وعلوم الإعلان والتجميل والموضة والعطور ومسابقات ملكات الجمال وتطور أشكال الملابس الداخلية والخارجية والإكسسوارات، وأصبح التأكيد مُلحًّا - عبر الوسائل الإعلامية المختلفة - على سيادة رموز الفن والسياسة وغيرهما كنجوم " لهم أجساد " متميزة وجميلة ومكتملة، يُنظر إليها من بُعد، ويشار إليها بالبنان ! فبعد أن كان الجنس والجسد يخضعان للثقافة السائدة والتي يساهم في تشكيلها الدين والعرف الاجتماعي أصبح الجسد والجنس هما الثقافة السائدة بالتحالف مع العقل المادي الساعي لتعظيم اللذة والربح وتقديمهما على كل هدف آخر، ويمكن الحديث اليوم عن عشرة ملايين أمريكي مصابين بإدمان الجنس، بمعنى عدم القدرة على السيطرة على السلوك الجنسي !

إن الجنس وذروته المتمثلة في "الشبق" هو قمة التحقق لمبدأ اللذة "هنا، والآن"، ويمكن الحديث عن "الشبقية" أو قمة النجاح واللذة والتحقق كهاجس مهم من هواجس إنسان العالم المعاصر ؛ فإن الجنس هنا يحقق التغطية على مشاعر وتساؤلات وجودية مقلقة وغير مرغوبة عن جدوى الحياة ومعناها، ويمثل إمكانية كبرى للهروب من مشاكلها، علاوة على البهجة التي يشيعها مثل: " المخدر اللذيذ القاتل "، وليس من قبيل المصادفة أن تعرض المجلات التي تتناول فنون الجنس والجسد تحت عنوان life style، وهنا نجد أن الجنس تعدى كونه نشاطاً إنسانياً منضبطاً إلى "نمط حياة" !

إنه لا يمكن الحديث عن الجنس دون التعرض لجسد المرأة ودوره في تحولات الجنس التي طرأت، ففي الماضي كانت "الأمومة" هي الدور الذي تطمح إليه المرأة لتصبح رمزاً للعطاء، ومن هذا الدور كانت تستمد سلطتها وسطوتها داخل البيت وخارجه، لكن هذا الدور أصبح يُنظر إليه على أنه "تقليدي" بمعنى الازدراء لأنه مرتبط بالخضوع للرجل،

لذلك ارتبط الانعتاق من سلطة الرجل والأسرة بالتحرر وتحسين وضع المرأة وحرية المرأة في التصرف بجسدها، وهذه الحرية لا تعني ممارسة الجنس الحر فقط، وإنما تشكيل جسدها كما تريد (أو هكذا تتصور) ؛ لأنها في الواقع تشكله كما يريد غيرها من الإعلاميين ومنتجي ثقافة الجنس .

ولذلك كان – كما ترى د. ميرفت عبد الناصر – ثمة علاقة بين بروز الحركة النسوية في منتصف القرن التاسع عشر، وبين بروز الاتجاه لضبط الوزن والنحافة كتحد للسمنة (المرتبطة بالخصوبة)، في حين ترتبط الرشاقة بالجمال المثير للشهوة، وأصبح النجاح في اكتساب قوام رشيق يعد إنجازاً هائلاً يستدعي الحفاظ عليه بالتمارين الرياضية والوصفات الغذائية وغير ذلك مما أدى إلى شيوع كثير من الأمراض – حسب د. ميرفت – المتعلقة بالغذاء في أوربا وأمريكا وغيرها من الدول الصناعية، ثم انتشرت في عدد من الدول النامية بتأثير العولمة .

وتحرر المرأة بسيطرتها على جسدها يتناول أيضاً البحث عن "الإشباع الجنسي الذاتي" دون الحاجة إلى شريك، خاصة مع إمكانية الحمل دون رجل، وبهذا كانت السيطرة دون الرجل أو في العلاقة مع الرجل جوهر فكرة التحرر المعاصر للمرأة .

لقد تم استخدام جسد المرأة محوراً للأنشطة التجارية والإعلامية الواسعة التي تتخذ من الجنس نمطاً للحياة، وبهذا تم تهميش المرأة واحتقارها، لكن بأسلوب (عصري) لأن الأسلوب السابق (الأمومة) أضحى تقليدياً كما أن فيه مهانة للمرأة !! من هنا تم وضع معايير محددة للجمال ومقاييس محددة للجسد الجميل في لونه وأبعاده وتقاسيمه وما يظهر منه وما يختفي، وهنا بدأ النظر إلى الجسد بوصفه ميداناً للبحث عن القوانين البيولوجية الحاكمة، وحين تمكن العلماء من تشريحه واكتشاف قوانينه تحول النظر إلى الجسد بوصفه مجالاً للسيطرة على تلك القوانين، وبها، وساد الاعتقاد بأن الجسد ملك خاص بصاحبه وأنه مكوّن من أنسجة وتفاعلات تقوم بوظائف يمكن التدخل بها بدءاً بالهندسة الوراثية وانتهاء بالطموح إلى تصنيع الخلايا وغيرها، وفي هذا السياق تأتي عمليات التجميل ضمن

أدوات التحكم بالجسد وفق المقاييس المحددة مسبقاً للجسد / المثال ، كما تم إدخال بعض جراحات التجميل إلى بنود التأمين الصحي في أمريكا .

والآن انـــتقل جسد المرأة من جماليات الفن إلى مقتضيات التوظيف في عالم المال ؛ حيث إن قطاع الإنتاج يتعامل مع المرأة كجسد بلا عقل، ويشترط - في الدرجة الأولى- جمـــال الهيئة والمؤهلات الجسدية في التعامل مع الزبون في شركات الطيران والسكرتارية ومـــندوبات المبـــيعات وغـــير ذلك فيكون الجسد هو أداة التواصل بين المالك والزبون، وتتشـــدد بعض الشركات فتشترط عزوبية المضيفة مثلاً ؛ لأن العمل يريد جسداً متفرغاً بالكلية !

بـــل إن الأمـــر لا يقتصر على ذلك ؛ ففي الفن نجد أن "النجومية" مرهونة بامتلاك جسد تنطبق عليه المقاييس ! تقول نجمة مشهورة مخضرمة : "كنا في الماضي على استعداد لإقامة علاقة مع من يوصلنا إلى الوقوف أمام الكاميرا ونعتبر هذا في سبيل الفن، أما فتيات الـــيوم فيقفن أمام الكاميرا لترويج أجسادهن وأنفسهن في بيزنس الجنس "، وتقول أخرى شابة : " إن الفنانة يجب أن تكون (صايعة) حتى تصبح نجمة " !

كانـــت الـــدورة الجنسية في السابق تبدأ بمرحلة الرغبة وتتميز بغلبة الطابع النفسي الذهـــني علـــيها، وتقـــوم الخيالات الجنسية فيها بدور كبير في الإثارة تجاه ممارسة الفعل الجنسي، وفي المرحلة الثانية تتداخل العوامل الجسدية والنفسية الناتجة عن الإثارة والداخلة في الممارســـة ثم يـــأتي بعد ذلك الشبق ثم الانطفاء . والآن لم تعد مرحلة الشهوة والرغبة مرتـــبطة بالممارســـة بالضرورة ؛ حيث دخل عنصر الميكنة والآلة على نطاق واسع، وقد تطـــورت الميكـــنة في إثارة الشهوة ودخلت أفقاً غير واضح المعالم مع القفزة الهائلة التي تتيحها تقنيات الإنترنت التي تداخلت مع مرحلتي الإثارة والممارسة على نحو غير مسبوق فالعديد من مستخدمي الكمبيوتر اليوم يثيرون رغباتهم ورغبات الآخرين دون الدخول في علاقات إنسانية مباشرة، وهذا الاتصال الجنسي دون التواصل الإنساني المباشر يثير جدلاً حاداً في الطب النفسي ؛ فالعلاقة هنا تتم مع الآلة وعبرها في الوقت نفسه أكثر من كونها

تتم مع شخص آخر، وقد تصل الممارسة إلى مرحلة الشبق بالاستمناء المصاحب للاتصال الإلكتروني بالطرف الآخر. البعض يرى أن هذه العلاقة أفضل من لا شيء حيثما كانت هي المتاحة، وينتقد آخرون طبيعة الاتصال الإلكتروني ومحدوديته مهما كانت تقنياته في توصيل وتبادل الانفعالات والتفاعلات (نبرات الصوت وشكل الابتسامة والحديث الشفهي)، وثمة آخرون يرون أن هذه العلاقة أكثر اقتصاداً وأقل مسؤولية كما يصف د. ميلكود محاضر علم النفس بجامعة تكساس، لكن المشكلة تكمن في الاستغناء بهذا الاتصال عن الشريك الحقيقي، الأمر الذي يعتبر مرضاً يستدعي العلاج .

لقد تطور التفكير في الجنس والجسد وقفز قفزات كبيرة ؛ فلم تعد المسألة مجرد حاجات تنبع من السياق الاجتماعي والثقافي ومن رغبات النفس، و لم يعد الخيال هو مخزن الرغبات المكبوتة حتى يكون الحل هو التعبير عن هذا المخزون بشكل لائق ومتفق مع السياق الاجتماعي والثقافي كما اعتبر فرويد . إننا اليوم في عصر الإنترنت نتحدث عن صناعة الخيال، فالوضع مع الإنترنت يكتسب أبعاداً أكثر صعوبة فهو يتخطى الصورة الثابتة والمتحركة والخبرة والممارسة إلى إمكانية إشراكك أنت في الممارسة لتمارس "الواقع المتخيل"، وسجلت بعض الحالات لنساء أنهن يصلن إلى ذروة النشوة عبر شبكة الإنترنت وخطورة هذا الأمر أن السعي للإشباع فيه هو سير نحو السراب! إن الأمر – مع ذلك – يتطور، وهو مرهون بتقدم قدرات الكمبيوتر وإبداعات المبرمجين، ومن أطرف الابتكارات في هذا المجال برنامج جديد يسمح لمستخدميه بخلق فتاته المتخيلة الخاصة التي سيمارس معها الجنس الإلكتروني، فهل ستشعر النساء بالغيرة من هذه الرفيقة الإلكترونية؟!

إن التطور لم يقتصر على كيفيات الممارسة، بل شمل أيضاً نوع الممارسة (أي نوع الشريك)، فعلى حين كان اشتهاء المماثل ثم الدخول معه في ممارسه فعلية ربما تؤدي إلى الاكتفاء به عن الشريك من الجنس الآخر كان ذلك يعتبر مرضاً لا محالة، لكن بدأ التحول تدريجياً إلى موقف أكثر تسامحاً فتغير التصنيف من "اضطراب" أو "مرض" إلى "انحراف" ووصل الأمر الآن في الغرب إلى وصفه "بالتنوع"، ومن ثم تمّ التفريق بين "الجنس"

و"النوع" و "الكينونة الجنسية" بمعنى أن ثمة فارقاً بين الجسدي العضوي فيما يتعلق بنوع الجنس وبين الاختيار النفسي والوجداني، وليس بالضرورة أن يتطابقا .

وتزداد صور الخيالات والممارسات الجنسية الشاذة والغريبة كإقامة علاقات مع حيوانات أو غير ذلك، ويتحرك الموقف من هذه الأمور من اعتبارها انحرافات إلى السماح بها ما دامت تثير الشهوة وتحرك الرغبة ولا تكون بديلاً عن العلاقات الطبيعية ! والمشكلة أن هذه التطورات تتم بأدوات علمية لتغيير الموقف الاجتماعي مما كان يعتبر مرضاً بالأمس لإبداء موقف أكثر تسامحاً .

وفيما يخص الجسد (حقل الأداء الجنسي المادي) فقد تغيرت أدواره والنظر إليه والعلاقة به وخاصة في علاقته بالذات، فالجسد - حسب علم الاجتماع - يعتبر جزءاً من البيئة ووسيطاً للذات، والآن اقترب الجسد من أن يكون التجلي الأساس (وربما الأوحد) للذات فصار مجال الإنجاز والفشل ومكان الانطلاق للأمل والحياة والانتصار على مظاهر النقص، وهذا التغير المتدرج في إدراك الجسد وعلاقته بالذات رُبط بين تحريره (وضعه تحت سيطرة صاحبه بوصفه ملكاً له) وتحرير الإنسان نفسَه (من كل القيود) فأصبح التحرر والحرية أقرب ما يكون تبلوراً في حرية الجسد من كل قيد .

ومع وجود الإنترنت دخلت العلاقة بين الجسد والذات طوراً جديداً حيث أمكن الانفصال الكامل بين الجسد والذات من خلال التواصل مع الآخرين باختراع وتركيب " ذات" غير الحقيقية مما يعني إعادة تشكيل الذات وفقاً لمتطلبات الجسد .

إن كلاً من الجسد والذات يتحرر - في الفضاء الإلكتروني - من كل قيد (اجتماعي أو أخلاقي أو نفسي) ويدخل في علاقة (من وراء حجاب) مع أطراف أخرى لها نفس التحرر والحجاب ؛ مما يتيح مساحة واسعة للتجريب والتركيب ولعب الأدوار التي تقترب أو تبتعد من الذات الحقيقية، فتنشأ علاقة (جديدة) بين الجسد والذات الجديدة المخترعة أو المركبة، وهذا ما يتم الآن في غرف الدردشة (chat rooms) لغرض التسلية أو

الـــتحرر مـــن أسر الذات، وتصل المعضلة إلى الذروة حين يتم التصور بأن هذه الذوات الجديدة (المتحررة) هي أقرب ما ينبغي أن نكون عليه !

إنه لا يسعنا إلا القول : إن أحداً لا يعلم ما النهاية التي ستصل إليها هذه الأحداث .

المبحث الثالث : المواقف المختلفة من الإباحية في ضوء المرجعيات الفكرية

أولاً: المواقف الوضعية :

إن الواقع - أي واقع - هو فرع عن الثقافة المهيمنة عليه والتي تغذي علاقة الإنسان بمحيطه الاجتماعي والطبيعي، من هنا نستطيع أن نفهم الواقع الغربي من خلال ثقافته الحاكمة لنظم مجتمعاته .

إن الثقافة الغربية تنظر إلى الجسد بوصفه نظاماً فردياً (خاصاً بصاحبه) ويمكن البحث فيه وسبر أغواره والوصول إلى أبسط عناصره، كما يمكن الوصول إلى قوانين حاكمة منضبطة تفسر تناسله ومرضه، وهذه النظرة وإن كانت صادقة إلى حد ما لكنها تصرّ على إلغاء أي اعتبار ديني، ومن ثم وجدنا قرارات الأمم المتحدة - في ما يخص حقوق الإنسان ومؤتمرات المرأة - تخلو من أي إشارة إلى دور الدين في تقرير حقوق الإنسان أو تحرير المرأة ! بل إن مؤتمر المرأة (بكين + ٥) تضمن ٤٠ فقرة تخالف الشرائع السماوية وتركز على ما يسمى "حقوق الشواذ"، وحقوق السيدات في الإجهاض، وإقامة علاقات جنسية "حرة"!.

إن الحضارة الغربية تعتمد على تأليه الإنسان باعتباره سيد هذا الكون، وتقطع أي صلة له بعالم السماء (الوحي)، ولذلك اعتبر فلاسفة القرن السابع عشر والثامن عشر أن الهدف من الحياة - وهو المبدأ الذي قام عليه العصر الصناعي - هو السعادة، أي تحقيق أقصى متعة وبإشباع أي رغبة أو حاجة ذاتية تعنُّ للمرء (مذهب اللذة الراديكالي) .

وبهذا تمكنت الطبقة المتوسطة ليس فقط من تحطيم أغلالها السياسية، وإنما حطمت كل روابط الحب وعلاقات التكافل، واعتقدت أن حياة الإنسان من أجل نفسه فقط تعني تعظيماً لذاته، وليس إنقاصاً لها فقد اعتبر هوبز (Hobbes) أن السعادة هي التقدم المطرد دائماً من شهوة لشهوة [1] . يقول إريك فروم : "ها هو العصر الحالي منذ الحرب

[1] انظر : إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم، الكويت، (سلسلة عالم المعرفة) سنة ١٩٨٩م ع/١٤٠ ص٢٣،٢١ .

العالمـية الأولى يشـهد - إلى حـد كـبير - عودة إلى أفكار وممارسات مذهب اللذة الراديكالي، وتشكل فكرة المتعة غير المحدودة تناقضاً صارخاً مع اعتبار العمل المنضبط المثل الأعلى للمجتمع" [١].

وتطبـيقاً لمبدأ اللذة وسيادة الإنسان وتحرره من أي عبء أخلاقي وديني، وتجاوباً مـع "الطبـيعة الإنسانية" ثمة مظاهر جنسية كثيرة " مشروعة" في الغرب بالرغم من أنها خـارج إطار الزواج، أبرزها ما يسمى "Boy Friend" و "Girl Friend" وهو يشمل الممارسة الجنسـية بالضـرورة بخلاف Friend، وأوضح التقرير السنوي للمعهد القومي للدراسات الديمغرافـية في بـاريس انتشار ظاهرة المعاشرة دون زواج شرعي [٢]، وكذلك شهدت سيدني أثناء استضافة دورة الألعاب الأولمبية لعام ٢٠٠٠ حملة إعلانية منظمة في الصحف وعـلى الإنترنـت لبـيوت الدعـارة، ووفدت العاهرات من مختلف أنحاء العالم لتلبية الاحتـياجات المـتزايدة وأنتجت السلطات الأسترالية شرائط فيديو للعاملين في الدعارة ترشدهم إلى حقوقهم القانونية وتقدم لهم النصائح الطبية الوقائية [٣] ! هذا ويعتبر التعري مباحاً في أستراليا، وتعتبر ولاية كويترلاند الوحيدة التي يعتبر فيها التعري مخالفاً للقانون .

وقـد جرى في فندق "رويال كازينو" مراسم حفل "تكريم" نجوم الأفلام الإباحية الأوربيين على جهودهم الشيطانية في إثارة غرائز البشر بأحط الأفلام العارية، وقد فازت فرنسا بنصيب الأسد، وحصلت خلال الاحتفال الممثلة الألمانية (بيت أوهسي) (٨٠ عاماً) عـلى جائـزة تقديـر لأنها افتتحت أول متجر إباحي في ألمانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية[٤] .

---

(١) المصدر السابق ص٢٣ .

(٢) صحيفة الشرق القطرية، الثلاثاء ٢٦ شوال ١٤٢٠هـ ١ فبراير ٢٠٠٠م عن اللوموند الفرنسية.

(٣) ٢٠٠٠/٢/٢ bbcarabic.com .

(٤) ٢٠٠٠/٥/١٩ islam- online .

وتجدر الإشارة إلى أن ثمة طائفة دينية تسمى "عبدة الفرج" لهم موقع على الشبكة العالمية يدعون من خلاله إلى ديانتهم وظهر على الموقع رجل مع زوجته من أبرز دعاته !

وفي مؤتمر (بكين +٥) دعت الوثيقة الخاصة إلى عدم التمييز بين الناس على أساس النوع أو الجنس، واعتبار جميع الأشكال "الشاذة" (الزنا - اللواط - السحاق - الزواج المثلي) مشروعة، وأنها كلها تقع في سياق "الحقوق الأساسية" للإنسان، واعتبرت الوثيقة أن للمرأة الحق في السيادة على جسدها !

وتنتقد الوثيقة زواج المراهقات في حين تبيح الحرية الجنسية لهن ! واعتبرت أدوار الأمومة والأبوة أدواراً " نمطية " يجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط[1] .

وفي هذا السياق صوَّت الحاخامات المنتمون لأكبر تجمع يهودي في الولايات المتحدة لصالح الاعتراف بزواج الشواذ جنسياً، ووافق على ذلك المؤتمر المركزي للحاخامات الأمريكيين التابع لحركة الإصلاح اليهودية، وقال رئيس المؤتمر تشارلز كرولوف : "إن من حق الشواذ الاعتراف بزواجهم واحترامهم" ! .

وفي عام تسعين وافقت الحركة على تعيين حاخامات يهود من الشواذ اعتمادًا على مبدأ أن جميع اليهود متساوون في التدين بغض النظر عن "توجهاتهم" الجنسية ![2] وكان دعاة حقوق الشواذ قد نظموا مسيرة في العاصمة الإيطالية روما شارك فيها سبعون ألفاً لتغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية المتشدد تجاههم[3] .

لقد تم الفصل بين الأنشطة الجسدية وغيرها عن القيمة الأخلاقية، ومن ثم تحررت البيولوجيا والسيكولوجيا من العبء الأخلاقي في تعاملها مع نفس الإنسان وجسده . ويجب التنبيه هنا إلى أن فلسفة الحضارة الغربية القائمة على نشدان السعادة من خلال

---

[1] ينظر : المواقف الرئيسية تجاه قضايا مؤتمر المرأة، مقال منشور على (آدم وحواء) islam- online

[2] ٢٠٠٠/٣/٣١ bbcarabic.com .

[3] ٢٠٠٠/٧/٩ bbcarabic.com .

تحقيق اللذة القصوى غير قابلة للمراجعة أو النظر (حتى الآن على الأقل)، لذلك وجدنا النظر الوقائي للمشاكل الناجمة عن تلك السلوكيات (كالأطفال اللقطاء- الإيدز- ...) يختلف عن الرؤية الإسلامية، وبالتالي تم اقتراح "الواقي الذكري" وحبوب منع الحمل والأدوية المعالجة للأمراض الناجمة عن الممارسات الجنسية "الحرة" .

إن تلك الحضارة تحمل تجاه المواقف المختلفة عن موقف "الانفلات" هذا الذي استعرضنا طرفًا منه مشاعر تتراوح بين الرثاء والدهشة في رؤية تفاصيل قد تبدو غامضة ومثيرة، ولذلك نرى أن مؤتمرات "تحرير" المرأة بالمفهوم الغربي لا تحمل أي بعد تآمري كما يحلو للكثيرين ممن يسيؤون فهم الفلسفة الغربية، وإنما تحمل الرغبة في تحرير "الآخر" من "التخلف" - وفق رؤيتها - الذي لا يزال يعيش فيه، ولا شك بأن ذلك يحقق لها مكاسب حضارية في سياق صراع الحضارات .

ثانيًا: موقف الإسلام :

سنقتصر على بيان الرؤية الإسلامية بناءً على أن الدين واحد في مقاصده وأهدافه، وإنما اختلفت الشرائع في بعض الأحكام العملية تبعًا لاختلاف الظروف التاريخية واعتبارات أخرى .

غاية الإنسان "المؤمن" في هذه الحياة الدنيا تحقيق "العبادة" لله سبحانه وتعالى، وذلك وفق الهدف الذي قرره الله سبحانه في كتابه:﴿**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**﴾ [الذريات:٥٦].

والعبادة هنا ليست قاصرة على المعنى الضيق المتبادر إلى الذهن، وإنما هي أشمل من ذلك بكثير، ولبيان ذلك لا بد من استدعاء قوله سبحانه : ﴿**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**﴾[النور: ٥٥] .

فالعبادة بهذا المعنى ليست علاقة "خاصة" بين الله والعبد فحسب، بل إنها تتقاطع مع مجموعة من العلائق الأخرى كالعلاقة مع الذات، والعلاقة مع الآخر (الإنسان والحيوان والنبات والجماد) والعلاقة مع الكون كله في إطار الاستخلاف (الإعمار والبناء)، ومن يحقق الإيمان والعمل الصالح في هذه العلائق السابقة يكون له الاستخلاف على الأرض طبق وعد الله سبحانه .

والحياة الدنيا بكل مظاهرها الدنيوية في المنظور الإسلامي مجرد "متاع" **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾** (آل عمران: ١٤)

وقال ﷺ: " **الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر**"[رواه مسلم] . وإنما الحياة الحقيقية هي الدار الآخرة **﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾**[العنكبوت: ٦٤]، ولما كان الإنسان يغتر بالمحسوس لقربه، حذره سبحانه من التغافل عن الحقيقة السابقة فقال : **﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾**[فاطر: ٥] ووعد الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة بالعذاب فقال :**﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾**[البقرة: ٨٦] .

وعلى هذا فالدنيا دار "اختبار" وامتحان **﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾**[الملك: ٢] لذلك فإن الإنسان مسؤول عن عمله وسوف يحاسب عليه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر **﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾**[النحل: ٩٣]، **﴿كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾** [الطور: ٢١]، والله مطلع على كل الأعمال **﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾**[الحشر: ١٨] فعلى المرء أن يستحضر هذا في كل أعماله . من هنا ندرك أنه ليس للإنسان "السيادة" على جسده بحجة أنه يملكه، فالجسد ملك لله، وكذلك الكون لأنه خالقهما **﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ﴾**[النحل ٧٠]، لكن أوكل إليه حق

التصـــرف في نفســـه والكون في إطار "التكليف"، لذلك كان عليه أن يخضع لتعاليم الله ســبحانه التي جاء بها الرسل عليهم الصلاة والسلام، ومن تلك التعاليم نظام العلاقة بين المرأة والرجل في إطار الزواج وخارج الزواج .

وحين نقول "المرأة والرجل" فلا بد أن يتبادر إلى الذهن - حسب العرف والثقافة - العلاقة الجنسية وهي محط بحثنا .

إن الإســـلام ينظر إلى "الجنس" نظرة إيجابية ؛ فالجنس أمر مرغوب فيه، بل وينال علـيه المســلم الأجر والثواب إضافة إلى ما يحققه من "اللذة" الشرعية واستمرار النسل، ولذلـك وجدنـا عدداً من الأحاديث النبوية التي توجه المسلم إلى توصيات وإرشادات "جنسية" أثناء القيام بتلك الوظيفة "الطبيعية" على الوجه "المشروع"، ولكي لا نخلي المقام من الاستشهادات نستعرض بعض الآيات في الموضوع :

﴿أَتَــأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ * وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[الشعراء:١٦٥، ١٦٦] .

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم: ٢١] .

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللَّهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالْآنَ بَاشِرُوهُنَّ وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ﴾[البقرة: ١٨٧] .

﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾[البقرة: ٢٢٣] .

وفي الحديث : " **وفي بُضْع أحدكم صدقة** " [١] .

---

[١] رواه : مسلم، الزكاة، بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، (١٦٧٤) .

والأمر كذلك في التراث الإسلامي ؛ فليس فيه ما يحط من قدر " الجنس" أو ينظر إليه نظرة "دونية" أو دنسة، وإنما وجدنا مناقشة قضاياه صريحة في كتب الفقه خاصة، وكذلك صنف فيه أئمة كبار كالسيوطي وغيره . غير أن أسلوب معالجة ذلك الموضوع كانت تتسم بالتعريض بدلاً من التصريح حفاظاً على الحياء العام لقدسية تلك الوظيفة واتباعاً لمنهج القرآن الكريم والسنة النبوية اللذين سمَّيا "الظهار" مثلاً وكان حقه – فيما لو صرح – أن يقول : "البطان" .

وجرى ذلك في إطار منفتح دون انفلات في السلوك العام للمجتمع ؛ لأن المجتمع كانت تحكمه ضوابط أخلاقية وشرعية صارمة، كما أن الوازع الديني كان هو المحرك الفاعل للحركة الجماهيرية بالإضافة إلى أسباب أخرى اجتماعية واقتصادية وغيرها .

العلاقة بين المرأة والرجل من منظور إسلامي

إن "الإباحية" نمط (خاص) من أنماط السلوك الإنساني يندرج تحت مسمى "العلاقة بين الرجل والمرأة"، وهذه العلاقة واسعة ومختلفة فهي لا تقتصر على العلاقة "الجنسية" شرعية كانت أم غير شرعية، بل تشمل كل أنماط السلوك الإنساني التي تدور بين الرجل والمرأة في إطار الحياة العامة .

وقبل أن نخوض في تفاصيل العلاقة لا بد أن نؤكد منذ البداية جوهر النظرة الإسلامية إلى تلك العلاقة وهي أنها قائمة على قاعدة "الرغبة" بين الطرفين ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ**﴾[آل عمران: ١٤] وهذه الرغبة محفوفة بالفتنة، لذلك كثرت التوجيهات النبوية في اتقاء فتنة النساء [١] لذلك نجد أن كل التشريعات الإسلامية مبنية على "الحيطة" من تلك القاعدة المقررة ابتداءً. بقي أن نقول : إن العلاقة بين الرجل والمرأة لا يمكن أن تكون "جسدية / جنسية"

---

[١] انظر : مسلم، الصحيح، الأدب، باب الألفاظ من الأدب رقم (٤١٨٢) . وأحمد، المسند، باقي مسند المكثرين، مسند أبي سعيد الخدري (١١٠٠٣) وغيرهما .

إلا عندما تكون "شرعية" وفق القاعدة الحقوقية القائلة : إن الشخص لا يستطيع شرعاً أن يتصرف فيما لا يملكه، والملكية تتحقق بالحيازة، والحيازة تتحقق بالتعاقد، والتعاقد يتحقق بدفع المقابل أو العِوَض .

لقد أباح الإسلام لكلٍ من الرجل والمرأة أن يمارسا حياتهما بالشكل الطبيعي مع فروق بسيطة بينهما يجب مراعاتها تمشياً مع طبيعة كل منهما وخصائصه، فيباح للمرأة الخروج من البيت للحاجة (بمفهومها العام)، كما يباح للرجل ذلك، والأحاديث في ذلك كثيرة[١]، بل إن النساء كنَّ يخرجن مع النبي ﷺ في الغزو فكنَّ يداوين المرضى ويقمن على الجرحى[٢]، وفي ذلك تقول أم عطية رضي الله عنها : "غزوت مع النبي سبع غزوات أداوي الجرحى وأصنع لهم الطعام وأخلفهم في رحالهم"[٣]. بل ورد النهي عن منع النساء من الخروج إلى المسجد[٤] . وبناءً على ذلك يباح للمرأة العمل خارج البيت، وقد أباحه النبي ﷺ نصاً حينما قال لامرأة سألته ذلك : "اخرجي فجُدي نخلك" [٥] وكانت في زمن العِدة . كما أنه لم يرد ما يحظر ذلك ولا ما يدل على أن النساء يجب عليهن المكوث في البيت مطلقاً، وإنما كان ذلك خصيصة لنساء النبي ﷺ تحققاً بقوله سبحانه : ﴿**وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى**﴾الأحزاب:٣٣] والخطاب خاص بهن ﴿**يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ**﴾[الأحزاب:٣٠] .

[١] انظر مثلاً : البخاري، الجهاد والسير، باب حمل الرجل امرأته في الغزو.. (٢٦٦٦) ومسلم، السلام، باب إباحة الخروج للنساء لقضاء حاجة الإنسان (٤٠٣٥) (٤٠٣٤) والترمذي، الجمعة عن رسول الله، باب ما جاء في خروج النساء في العيدين (٤٩٥) وغيرها.

[٢] انظر : أحمد، المسند، (١٨٦٦) .

[٣] الدارمي، الجهاد، باب في النساء يغزون مع الرجال، (٢٣١٥) .

[٤] رواه البخاري، الجمعة، هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء والصبيان، (٨٤٩)، ومسلم، الصلاة، خروج النساء إلى المساجد .. (٦٦٨) .

[٥] مسلم، الطلاق، جواز خروج المعتدة والمتوفى عنها زوجها، (٢٧٢٧) .

هـــذا الخـــروج والعمل يقتضي الاحتكاك بالرجال لا محالة، ولذلك سنَّ الإسلام تشـــريعات تحفظ لكلٍ حقوقه، وتصون تلك العلاقة من الانحراف ؛ فأمر المرأة بالستر [١] لأن جســـدها عـــورة ما عدا الوجه والكفين [٢]، ويشترط في اللباس أن يكون ساتراً ولا يصف ما تحته [٣]، ومن تمام الستر طول الثوب [٤]، وعدم الطيب للشارع والتبرج[٥].

هـــذا في حـــق المرأة أما الرجل فإنه مأمور بغض البصر ﴿**قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ....**﴾[النور:٣٠] [٦] .

وقد رفع الإسلام الحرج عن المسلم فلم يؤاخذه بنظر الفجاءة[٧]، واعتبر الإسلام أن الـــنظر إلى عورات النساء زنا العي[٨] إلا إذا كان لحاجة معتبرة شرعاً كالخِطبة والتداوي

---

[١] قـــال ســـبحانه:﴿**يَـا أَيُّهَـا النَّــبِيُّ قُــلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ**﴾ [الأحزاب:٥٩]. وانظر : البخاري، الوضوء، خروج النساء إلى البراز، (١٤٣)، والحيض، شهود الحائض العيدين، (٣١٣)، والأذان، سرعة انصراف النساء من الصبح (٨٢٥)، وبدء الخلق، صفة إبليس (٣٠٥١) .

[٢] الأحاديـــث في إباحة كشف الوجه كثيرة، والأدلة وافرة في ذلك، وإلى هذا ذهب جماهير الفقهاء اللهم إلا إن خيفـــت الفتـــنة المحققة فتؤمر بستر الوجه، ولها ذلك تطوعاً من نفسها . انظر في إباحة كشف الوجه : الترمذي، التفســـير، بـــاب من سورة الحجر، (٣٠٤٧) والدارمي، اللباس، باب فيما تبدي المرأة من زينتها، (٣٨٥٠) وغير ذلك. وانظر في حرمة النظر إلى العورة : أبا داود، الحمام، ما جاء في التعري (٣٥٠٢) وغيره .

[٣] انظر في ذلك : أبا داود، اللباس، فيما تبدي المرأة من زينتها، (٣٥٨٠) وأحمد، المسند، مسند الأنصار، حديث أسامة بن زيد، (٢٠٧٨٩) ومالك، الموطأ : الجامع، ما يكره للنساء لبسه من الثياب، وغيرهم .

[٤] انظـــر في ذلـــك : النسائي، الزينة، ذيول النساء، (٥٢٤٢) والترمذي، الطهارة عن رسول الله ﷺ، ما جاء في الوضوء (١٣٣) وأبا داود، الصلاة، في كم تصلي المرأة، (٥٤٤) وغيرهم .

[٥] انظـــر في ذلـــك : مسلم، الصلاة، خروج النساء إلى المساجد.. (٦٧٤) و (١٤٦٤) (١٤٦٧)، والترمذي، الأدب، ما جاء في كراهية خروج المرأة متعطرة (٢٧١٠) (٢٧١١) . والنسائي، الزينة، ما يكره للنساء من الطيب، (٥٠٣٦) (٥٠٢٨) . وأبا داود، النكاح، (١٨٥٩) وأحمد، باقي مسند المكثرين، (٨٤١٨) .

[٦] انظـــر في غـــض البصر : البخاري، الاستئذان، قوله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً...) (٥٧٦١) وحديث الفضل حينما نظر إلى الخثعمية فحول له النبي وجهه : البخاري، الحج، وجوب الحج وفضله، (١٤١٧).

[٧] انظر في ذلك : مسلم، الآداب، نظر الفجاءة، (٤٠١٨) والترمذي، الأدب، ما جاء في نظرة الفجاءة،(٢٧٠١).

[٨] انظـــر : البخاري، الاستئذان، زنا الجوارح دون الفرج، (٥٧٧٤) ومسلم، القدر، قدر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره . (٤٨٠١) .

وغـــير ذلك[١]، وفي ثواب غض البصر جاء قوله ﷺ: "ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادةً يجد حلاوتها" [٢] .

وفـــيما يخص المتزوج فقد أمره النبي ﷺ إذا رأى امرأة أعجبته بأن يأتي أهله " فإن معها مثل الذي معها "[٣]، وأمر العَزَب بالصوم إن لم يستطع الزواج "فإنه له وِجاء " [٤] .

وقد حذر الإسلام كثيراً من تجاوز هذه الحدود والوقوع في الزنا ؛ فالزاني لا يزني حـــين يزني وهو مؤمن[٥] ولا يكلمه الله ولا ينظر إليه[٦]، وكان النبي ﷺ يبايع أصحابه في العقـــبة على اجتناب الزنا مع التوحيد لله سبحانه، وفي هذا دليل على عظم الزنا[٧] وبايع النساء كذلك[٨] .

وســـن الإســـلام حـــدوداً زادعة لمن وقع في الزنا وهي الجلد للعزب غير المحصن والـــرجم للمـــتزوج المحصن رجلاً كان أم امرأة، وفي هذا تكفير لخطاياه وردع لغيره من الوقوع في الفاحشة .

إن الســـبيل الوحـــيد لإباحـــة العلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة في الإسلام هو "النكاح" الذي يتم بالتعاقد بين الطرفين وأخذ الميثاق الغليظ والمهر والإشهاد على ذلك، ثم الإعلان لذلك النكاح، وبذلك تثبت حقوق وواجبات بين الطرفين يجب عليهما الالتزام بها .

---

(١) انظر : أحمد، مسند المكيين، حديث محمد بن مسلمة، (١٥٤٥٣) .

(٢) رواه أحمد، باقي مسند الأنصار، حديث أبي أمامة، (٢١٢٤٧) .

(٣) رواه الدارمي، النكاح، الرجل يرى المرأة فيخاف على نفسه، (٢١١٨) .

(٤) رواه البخاري، الصوم، (١٧٧٢) ومواضع، والنسائي، الصوم، (٢٢٠٧) .

(٥) رواه البخاري، المظالم (٢٢٩٥) .

(٦) مسلم، الإيمان، بيان غلظ تحريم إسبال الإزار، (١٥٦) .

(٧) انظر : البخاري، الإيمان، علامة الإيمان حب الأنصار، (١٧) .

(٨) انظر : الترمذي، السير، بيعة النساء، (١٥٢٣) والنسائي، البيعة، بيعة النساء، (٤١١٠) وابن ماجه، الجهاد، (٢٨٦٥) .

كل ذلك للحفاظ على الأسرة والمجتمع والأمة، فالمقاصد الأساسية للعلاقة الجسدية بين الرجل والمرأة : تكوين الأسرة المسلمة الصالحة، وإقامة حدود الله سبحانه[1] وتحقيق السكون النفسي والطمأنينة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا﴾[الروم:٢١] وإنجاب النسل الصالح، "والإباحية" تهدم كل هذه المقاصد لتحول ذلك اللقاء إلى متعة "آنية" رخيصة مقابل مبلغ معلوم .

[1] ولذلك علل سبحانه إباحة الطلاق بقوله : ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ﴾ [البقرة ٢٢٩] وعلل إباحة الرجوع إلى الزوج بعد أن تتزوج غيره بقوله : ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ﴾[البقرة ٢٣٠] .

المبحث الرابع : الآثار النفسية والاجتماعية للإباحية

كان لمشكلة "الإباحية" آثار كبيرة على المستوى النفسي والاجتماعي، الأمر الذي يقتضي بحث هذه الآثار ولو بإيجاز .

أولاً: الآثار النفسية والسلوكية :

إن كـــل إنسان سوي يحب ممارسة الجنس، ويحب مشاهدة أجساد النساء الجميلات العاريـــة إلى غـــير ذلك مما لا سبيل إلى إنكاره، وقدمنا أن هذه الرغبة مشروعة ومحببة في الإسلام، لكن كيف نعبّر عن هذه الرغبة ؟ هنا يكمن الإشكال، فالتعبير الوحيد المشروع - كمـــا قدمنا أيضاً - هو الزواج ؛ حيث إن التعري - في الإسلام - لا يكون إلا لإثارة الشهوة من أجل النكاح وتحقيق السكن وتلبية مطالب النفس . لكن قد ينحرف الفرد في التعـــبير عـــن تلك الرغبة المركوزة في الطبع فيلجأ إلى أساليب أخرى، أبرزها - وهو ما يركـــز عليه بحثنا - إدمان الدخول إلى المواقع الإباحية على الإنترنت، وهذا يحمل مخاطر كـــثيرة وآثاراً سلبية - سنذكرها - تتفاقم وقد تستمر حتى بعد الإقلاع عن الدخول إلى تلك المواقع . لكن العلاج ممكن وأسهل إذا بدأ مبكراً .

أخطر تلك الآثار ما يأتي[١] :

- الإثـــارة والتهيـــيج، وفيها تتوتر الأعصاب وتندفع الدماء إلى الحوض وأعضائه فينتصـــب القضيب وتسيل العصارات ويتهيأ الجسد للممارسة الجنسية مع امرأة، فإذا لم تحـــدث هـــذه الممارســـة تظل الأعصاب مشدودة وأعضاء الحوض محتقنة لفترة ليست بالقصيرة، وآثار هذا كبيرة على الجهاز العصبي والتناسلي عند المرأة والرجل على السواء.

---

[١] ينظر : المواقع الساخنة .. الاستمناء.. وداعاً للإدمان، إجابة مطولة على مشكلة إدمان المواقع الجنسية منشورة على موقـــع Islam- online .

- إن مرور الوقت قد يُحدث بعض التعود الذي يدفع إلى دخول مساحات جديدة متوفرة على الإنترنت، والأمر لا يقتصر على مجرد المشاهدة ؛ إذ إن هذه الأنشطة لها آثار نفسية وجنسية ومالية .

- ومع مرور الوقت تتدرب النفس وتتعود الذهنية الجنسية في الإنسان على التلذذ بهذه الممارسة مما يؤدي إلى اعتبارها "طقساً" لا غنى عنه في تحقيق الإشباع الجنسي، وهناك حالات متقدمة تصل إلى ذروة الشبق من مشاهدة أو محادثة أو ممارسة عبر الإنترنت، والأخطر أن هذه الأمور يمكن أن تكون بديلاً غير فطري لقضاء الوطر ؛ مما يعوق السبيل الفطري والطبيعي (الجماع) .

- إن ثمة حالات مسجلة لأزواج وزوجات انهدمت حياتهم الزوجية ؛ لأن أحدهما أو كليهما أصبح يفضل "الجنس على الإنترنت" على الممارسة الطبيعية الفطرية، وهناك حالات - رآها مختصون - لأحد الشباب انهارت أعصابه بعد أن تعرّف - عن طريق الإنترنت - إلى امرأة لا يعجبها زوجها وقررت أن تأتي من بلادها لتتزوج به بعد أن تبادلا الأحاديث الجنسية، ولم يكن يعرف حتى اللحظة الأخيرة أنها متزوجة، وهو لا يستطيع تحمل العبء النفسي والمادي !

- إن المدمن لهذه المواقع - إن كان عَزباً - يصعب أن يجد امرأة تعجبه أو توافق هواه بعد ما رأى وسمع واشتهى كل لون .

وإن كان متزوجاً فإنه سينفر من زوجته في مقارنة ظالمة بينها - وهي الزوجة والأم كأي أم - وبين صور رآها لنساء يعشن لأجسادهن ويتكسبن بها فلا حمل ولا ولادة ولا عمل، فهل يمكن لنا أن نقارن "مؤهلات" المرأة الجسدية بجسد امرأة عادية تمارس حياتها (الطبيعية) كزوجة وأم ؟ !

إن هذه المقارنة تدفع الزوج إلى التورط في العزوف عن هذا الجسد (العادي) والبحث عن ذاك اللامع المتألق (السوبر)، وعن تلك الممارسة الخيالية أو التمثيلية التي يراها على الشبكة فيكون كمن يسير وراء سراب .

- إن هـــذه المواقـــع يمكن أن تكون فخاخاً للنصب على المغفلين بسحب أموالهم وتهديدهم بشتى السبل .

- يعقب الدخول إلى هذه المواقع - بالنسبة للملتزمين دينياً من الرجال والنساء - شعور عميق بالذنب وتأنيب الضمير وهذا الشعور له آثار كبيرة في المزاج العام للشخص وفي أدائه العملي وعلاقته بالله سبحانه .

- إن هيجان الرجل أو المرأة يؤدي إلى احتمالات متعددة هي :

١- المـمارسة الجنسية الكاملة بين الزوجين .

٢- الاستمناء في حالة إدمانه أو غياب الزوجة أو العَزب .

٣- عدم الممارسة أو الاستمناء ولكن استمرار التهييج حتى يحدث الإنهاك النفسي أو التفريغ التدريجي عن طريق الانغماس في أنشطة أخرى .

وكل هذه الاحتمالات خطيرة باستثناء الأول فقط .

هذه مجمل الآثار النفسية والسلوكية للإباحية على الفرد وسنتعرض - إن شاء الله - لسبل العلاج في الفصل الثالث .

ثانيًا: الآثار الاجتماعية :

لعل أبرز تلك الآثار في الواقع انتشار مرض "الإيدز" فقد أعلن الرئيس الكيني دانيال مـــوي أن وباء الإيدز يعد كارثة قومية وتهديداً لبقاء كينيا، يشار إلى أن الإيدز قتل ٧٠٠ ألف كيني[١] . وقد بلغ عدد المصابين بالإيدز حتى سنة ١٩٩٩م خمسين مليوناً طبقاً لآخر تقديـــرات منظمة الصحة العالمية التابعة للأمم المتحدة [٢] . وتشير الأرقام إلى أن مليونين وخمســـمائة ألف شخص في العالم قتلهم الإيدز سنة ١٩٩٨م وستة عشر مليون شخص

---

[١] ١٩٩٩/١١/٢٦ bbcarabic.com .

[٢] ١٩٩٩/١١/٢٤ bbcarabic.com .

قتلتهم أمراض لها علاقة بالإيدز[١] . يضاف إلى ذلك انتشار الأطفال غير الشرعيين (أولاد الــزنا) إلى درجة تخيف المراقبين، وقد بلغت نسبة الولادات دون زواج في فرنسا وحدها (٤٠%) من مجمل نسبة المواليد عام ١٩٩٧م مقارنة بعام ١٩٨٥ حيث كانت (٢٠%) . وأكـــثر من نصف النساء في فرنسا (أي بنسبة ٥٣%) يضعن أطفالاً دون زواج شرعي، وقد تضاعفت ظاهرة المعاشرة دون زواج شرعي سنة ١٩٩٩م مما يهدد بانقراض الأسرة الفرنسية، وذلك حسب التقرير السنوي للمعهد القومي للدراسات الديمغرافية في باريس (INEB) والذي أكد أن الزواج أصبح عادة "روتينية" أقلع عنها الكثيرون . يذكر أن فرنسا تفوقت في هذا على فنلندا والنرويج والسويد [٢] .

وعـــلى مستوى المفاهيم فقد أحدثت "الإباحية" ثورة مفاهيمية كبيرة ؛ فلم يعد "العري" الكامل يشكل مشكلة، كما أنه لم يعد يخدش ما يسمى الحياء العام (على الأقل)، وهـــو منتشـــر في شـــواطىء أستراليا[٣] وكذلك في البرازيل وغيرها[٤]، وكانت صحيفة الإندبندنـــت البريطانية نشرت في صدر صفحتها الأولى صورة لرجلين عاريين شاركا في مسيرة للعراة نظمت في مدينة برايتون الساحلية جنوب شرق إنجلترا تحت شعار "حرية أن تكـــوّن نفسك بنفسك"، وتهدف إلى "المساواة بين العراة ومرتدي الملابس أمام القانون، وعدم ملاحقة من يتجرد من ملابسه على الملأ بتهمة خدش الحياء العام[٥] !

و لم يعد "الشذوذ" الجنسي يعتبر "مرضاً" ولا "انحرافاً"، وإنما تحول إلى "اتجاه" كأي اتجاه آخر فكري أو غيره، ومن ثم دعت مؤتمرات المرأة والسكان التي رعتها الأمم المتحدة إلى اســـتخدام كلمة "Gender" وتعني "النوع" بدلاً من "الجنس" ؛ لأن الجندر تشمل كل

---

(١) ١٩٩٩/١٢/١م bbcarabic.com .

(٢) مـــترجم عن صحيفة اللوموند الفرنسية، عن صحيفة الشرق القطرية، الثلاثاء، ٢٦ شوال ١٤٢٠هـــ ١ فبراير ٢٠٠٠م.

(٣) ٢٠٠٠/٤/٢٤م bbcarabic.com .

(٤) ٢٠٠٠/١/٢٠م bbcarabic.com .

(٥) ٢٠٠٠/٦/٥م bbcarabic.com .

"التوجهات" الجنسية السوية والشاذة" وقد دعت صراحة إلى شرعية كل الأشكال الشاذة (السحاق - اللواط - الزواج المثلي) لأنها (كلها) تقع ضمن دائرة "الحقوق الأساسية" للإنسان !

ولم يعد مفهوم "الأمومة" و"الأبوة" من المفاهيم المعتبرة التي تسهم في بناء المجتمع، بل أضحت أدواراً "نمطية" يجب استبعاد الالتزام بها حتى يمكن إقامة مجتمع متحرر من القيود والروابط، وذلك حسب مؤتمرات المرأة التي رعتها الأمم المتحدة !

كما لم يعد يشترط "التعاقد" في "الزواج" ؛ لأن للمرأة "الحق في السيادة على جسدها" [١] .

لقد تم استخدام الأدوات والتقنيات المعاصرة (أدلجة العلوم - تقنيات التجميل - تقنيات الصورة والإنترنت..) لتكييف الواقع وتقنينه وعولمته على باقي المجتمعات "المحافظة/المتخلفة" .

لقد كان لتقنيات التجميل - كما قدَّمنا - أثر كبير في تغيير المفاهيم المرتبطة بالجمال ومعاييره، وذلك لخلق صورة أبهى من الواقع، ولو بحثنا في معايير الجمال العالمية لا نجد القصيرة والممتلئة وغير ذلك مما هو موجود في الواقع العادي، ومن ثم حدثت مشكلات كبيرة نفسية واجتماعية فصار الكل يريد جسداً مثل الذي في الصورة (على المقاس)، وشكت معظم النساء من أن أجسادهن لا تعجبهن . وصار الجسد يتحكم بالمرأة لتحافظ على معايير جمالها أو نجوميتها، وكان من نتائج ذلك العزوف عن الإنجاب للحفاظ على الرشاقة والجمال . كل ذلك أحدثته ثقافة "الجنس" التي أدت إلى الانفصال

---

[١] تنظر تفاصيل وثيقة مؤتمر السكان والتنمية في : جاد، الحسيني سليمان، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، سلسلة كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ١٩٩٤م، وكذلك ينظر : المواقف الرئيسية تجاه قضايا مؤتمر المرأة، مقال منشور في موقع islam- online .

بـــين عالم الشهوة وعالم التناسل ؛ مما أدى إلى تعظيم اللذات والتقلل من المسؤوليات قدر الإمكان .

هـــذه أبرز الآثار الاجتماعية للإباحية، واستكمالاً للموضوع سنعرض لاستفتاء تم على شبكة الإنترنت حول "الجنس" أجرته شبكة (Survey . net) ونشرته على موقعها باللغة الإنجليزية، ثم سنعرض لمشكلة "الإدمان" للإنترنت وخاصة للمواقع الإباحية .

استفتاء جنسي عام :

أجـــري استفتاء جنسي على شبكة الإنترنت شمل عدة مسائل في العلاقة الجنسية في أوروبـــا، وبلغ عدد المستفتين أربعين ألفاً ومئة وخمسة عشر شخصاً من مختلف الأعمار والأجـــناس . ركز الاستفتاء على عدة أمور كالتعرف على الجنس (ذكر/أنثى) والعمر، والـــتوجهات الجنســـية، ودور الإنترنـــت في العملية، ومدة احتفاظ البنات بعذريتهن، ومتوســـط المرات التي يقيم فيها الفتيان والفتيات علاقات جنسية غير مشروعة، بالإضافة إلى عـــدة مسائل أخرى . وقد جاءت النتائج والنسب مروعة كما سنرى، وكانت نسبة المخنـــثين ٠,٥% وتراوحت الأعمار ما بين ١٨- ٢١/٣١- ٢٢/٤٠- ٢٥/٣٠- ٣٦ وبلغ الذين هم دون ١٨ سنة ٩% من مجموع المشاركين .

- **أول الأســـئلة المطـــروحة وأكثرها مباشرة كان عن السن التي فقدت فيها البنت عذريتها** وجاءت النسب كالآتي :

  - ١٠% في سن ١٣ سنة .
  - ٦,٧% في سن ١٤ سنة .
  - ١٢,٧% في سن ١٦ سنة .
  - ٩,٧% في سن ١٥ .
  - ١٢,٣% في سن ١٧ .
  - ٦,٣% في سن ١٩ سنة .
  - ١١,٦% في سن ١٨ سنة .

- ١١,٠٩% لا يزلن عذراوات .

وقد اختلفت الظروف التي أدت إلى فقدان العذرية، ولكن النسبة العظمى ٤٧,٨% منهن فقدت غشاء البكارة عن طريق العلاقات الجنسية مع الزملاء في المدرسة، وبلغت نسبة من احتفظن بعذريتهن أثناء هذه المرحلة ١٠,٣% على حين أن ٩,٢% مارسن الفاحشة مع الأصدقاء القدامى، وكانت نسبة اللاتي تحفظن ٤,٢%، وبلغت نسبة اللاتي مارسن الفاحشة مع الأقارب (المحارم) ٢،٢ %، أما اللاتي فقدن العذرية بالاغتصاب فكانت نسبتهن ١,٨% .

- **والسؤال الثاني كان عن أول تجربة جنسية، وجنس الشريك**، وكانت النتائج التالية:
  - ٨,٢% يشتهون المماثل .
  - ٤,٤ % شواذ يفضلون الاتصال بالجنس نفسه .
  - ١٠,٩% يرغبون في ممارسة الجنس مع كلا الجنسين [1] .
- **أما السؤال الثالث فكان عن العدد الذي تمت الممارسة معه** وجاءت النسب على النحو التالي:
  - ١,٦% مع ٥٠٠ رفيقة فأكثر !!
  - ٠,٩% مع ٢٠٠ فأكثر .
  - ٠,٥% مع ١٥١ فأكثر .
  - ١,٢% مع ١٠١ إلى ١٥١ .
  - ١,٤% مع ٧٦ إلى ١٠٠ .
  - ٢% مع ٥٠ إلى ٧٥ .

[1] تجدر الإشارة إلى أن هؤلاء جميعاً يسمون في المصطلح الإسلامي "شواذ" على حين يطلق "الشاذ" في المفهوم الغربي – على ما يبدو – على من يمتلك توجهاً جنسياً مثلياً سواء كان يستغني به عن الجنس الآخر أم يفضله عليه.

- ٢,١% مع ٣١ إلى ٤٠ .
- ٨,٥% مع ١١ إلى ١٥ .
- ١,٧% مع ٤١ إلى ٥٠ . .
- ١٢,٧% مع شخص واحد .

- **والسؤال الرابع كان عن الجوانب الجنسية التي يترع إليها المشاركون في الاستفتاء من أجل إشباع رغبتهم،** وكانت النسب كالتالي :

- ١٦,٩% يركزون الشهوة على الرِّجل .
- ٣٩% يستمنون بإفراط .
- ٢٩% يستمنون بشيء من الاعتدال .
- ١٧% يمارسون الجنس بصورته العامة .
- ١١% يمارسون الجنس بنوع من الوحشية .

- **وبالسؤال عن دور الإنترنت في ذلك،** كانت الإجابات كالآتي :

- ٣٩,٧% يعتبرون الإنترنت متنفساً للإحباط الجنسي .
- ٣٣,٥% يقولون : إن الإنترنت جعلتهم أكثر معرفة بالممارسة الجنسية .
- ٢٣,٥% يعتبرون الإنترنت من العوامل المساعدة على الانحراف .
- ٢٢,٤% يرون الإنترنت تساعد على ممارسة الجنس بصورة أكثر أماناً .
- ١٤,٨% يرون الإنترنت تشجع على الزنا .
- ٢,٥% يرون أن الإنترنت أضرت بحياقم الجنسية .

- **وبالسؤال عن نوعية التعامل مع الإنترنت في تلك العملية وشكل الممارسات** كانت الإجابات الآتية :

- ٥٥,٩% يهتمون بالصور المثيرة للشهوة .
- ٥٠,٢% يقرؤون القصص الجنسية الموجودة على الإنترنت .

- ٣٣,٢% يقومون بالاستمناء أثناء الاتصال بالإنترنت .
- ٢٨,٢% يستمنون برؤية المواد المحملة على الإنترنت .
- ٢٣,٢% يقومـــون بمحادثـــات خليعة ومزرية عبر برامج المحادثة الموجودة على الإنترنت .
- ٢٠,٥% يتبادلون البريد الإلكتروني الجنسي .
- ١٢% يمارسون الجنس مع الآخرين عن طريق الإنترنت .
- ١١% يردون على الإعلانات الشخصية الموجودة على الإنترنت .
- ١٠,٣% يضعون إعلانات شخصية على الإنترنت .
- ٩,١% يرسلون صوراً جنسية مثيرة على الإنترنت .
- ٦,٧ يشترون منتجات جنسية يعلن عنها عبر الإنترنت .
- ٦,٣% يرسلون قصصاً جنسية .
- ٣,٨% يتصلون اتصالات جنسية مثيرة عبر الإنترنت .
- ٦,١% يشاهدون محطات الكوزيم المثيرة جنسياً .
- ٢,٦% يرسلون برامج الكوزيم المرئية المثيرة جنسياً عبر الإنترنت .

• **وبالســـؤال عن مدى خضوع تلك الاتصالات لنوع من الرقابة،** كانت الإجابات كالتالي :

- ٣٤,٤% يشكون في ذلك .
- ٣٣,٥% يرفضون الرقابة رفضاً جازماً .
- ٣٣,٩% قالوا : نعم .
- ١,٣% يقولون : إن ذلك يحدث لكنه أمر اختياري .

• **وتم سؤال هؤلاء عن أطفالهم فيما إذا كانوا يتصلون بالإنترنت** فأجابوا :

- ٧,٤% أجابوا بنعم، ولكنهم يراقبون الأطفال وأنشطتهم .

- ٦,٤% أجـابوا نعـم ولكـن الأطفـال - من وجهة نظرهم - أصغر من أن يستخدموا الكمبيوتر الشخصي .
- ٤,٢% أجـابوا : نعم ولكن وصول الأطفال إلى الشبكة - في رأيهم - محدود أتوماتيكياً .

- **وحـول معارضـة بعـض الجماعات للانفتاح والإباحية على الإنترنت، وكيفية التعامل مع ذلك** كانت مواقف المشاركين في الاستفتاء كالآتي :

- ٤١,٤% قالوا : إن الشبكة يجب أن تكون مفتوحة تماماً .
- ٥,٣% قالوا : يجب إنشاء شبكة إنترنت قائمة على الديمقراطية والتنظيم الذاتي .
- ٣,٦% قالوا بمنع كل الألوان الإباحية .
- ١,٥% قالوا بإغلاق كل المحتويات الجنسية على الشبكة .

- **أما عن مواقف هؤلاء من وصول أبنائهم إلى المواقع الجنسية** فكانت كالتالي :

- ٢٩,٩% يؤيدون ذلك شريطة أن يراقب الآباء نشاط أبنائهم .
- ٨,٨% يؤيدون تأييداً مطلقاً .

- **وبالسؤال عن الجهة المسؤولة عن وصول غير المؤهلين (كالأطفال) إلى المواد محل الخلاف** كانت هذه الإجابات :

- ٧٤,٢% قالوا : إن الآباء هم المسؤولون، فعلى الأسرة أن تراقب تلك العملية .
- ٣,٢% ألقوا المسؤولية على هيئة دولية منظمة .
- ٢% قالوا : الحكومة الوطنية هي المسؤولة .
- ١% قالوا : إن الحكومة المحلية هي المسؤولة .

- وكـــان آخر الأسئلة في هذا الاستفتاء عن **سهولة الوصول إلى المواد الجنسية على الإنترنت** فكانت الإجابات الآتية :

  - ٢٩,٣% قالوا : إن ذلك متاح في كل مكان .
  - ٢٦,٥% قالوا : ليست صعبة .
  - ١٣,٦% قـــالوا : إنهـــا ليست صعبة ولكنها صعبة عند الوصول إلى كتابات وصور جنسية واقعية .

إن هـــذا الاستفتاء المهم والخطير في آن معًا، يؤكد على خطورة المشكلة التي نبحثها، بل ينبئ بالكارثة التي يمكن أن تُحيق بمجتمعاتنا فيما لو طُبِّقت "الإنترنت المطلقة"، والأمر اللافـــت للـــنظر أن كـــل المشاركين في الاستفتاء يُجمعون على دور الإنترنت في تلك الممارســـات الجنســـية من خلال (الصور – القصص – المحادثات الخليعة)، بل إن العدد الـــذي ذكره بعضهم (وهو ٥٠٠ رفيقة مارس معها) يبين بما لا يدع مجالاً للشك خطورة هـــذا الأمـــر . إن هـــذا الإسراف الكبير في الإباحية أدى إلى ظهور شذوذات جنسية (الممـــاثل، اشـــتهاء الجنسين، العنف الجنسي ...) نتيجة فقدان العمل الجنسي "السوي" جاذبيـــته في محاولـــة للبحث عن البديل الأنفع (بزعمه الخاطئ)، ولكن الأمر الأخطر هو موقف غالبية المستفتين من "الانفتاح" على الإنترنت، فهم يشجعون الانفتاح ويعارضون أي تقييد أو رقابة !

مشكلة الإدمان

تختلف طبيعة المشكلة وحجمها بين فرد وآخر، الأمر الذي يقتضي الحديث عن أنماط مخـــتلفة من الأساليب الوقائية للإباحية، لكن من حيث الإجمال يمكن لنا أن نتحدث عن مدمـــنين وغـــير مدمنين، لكن غير المدمن قد يدخل إلى هذه المواقع بشكل عابر ؛ مما لا يســـتدعي الاهتمام ؛ لأنه لا يعتبر حالة مرضية، وقد يتكرر منه الدخول لكن لا يصل إلى حـــد الإدمـــان، وسنتحدث هنا عن مشكلة الإدمان لأنها أكثر تعقيداً وخطراً، وسنفصل لاحقاً في أساليب الوقاية .

اختلف العلماء في تعريف كلمة "الإدمان" ؛ فبعضهم يطلقها على مواد يتناولها الإنسان ثم لا يقدر على الاستغناء عنها . في حين يعترض آخرون على هذا المفهوم، ويرون أن الإدمان : عدم قدرة الإنسان على الاستغناء عن شيء ما، وشرطه : الحاجة إلى المزيد من هذا الشيء بشكل مستمر لإشباع الحاجة . ويسمي آخرون الاستخدام الزائد للإنترنت "الرغبات التي لا تقاوم"[١].

وفي ما يخص آلية حصول الإدمان فإن الشخص المدمن لديه قابلية مسبقة للإدمان لتحقيق احتياجاته النفسية وممارسة الأنشطة التي لا يستطيع تحقيقها في الواقع الممارس، ومن ثم يلجأ إلى محاولة تحقيقها من خلال الإنترنت في عملية مواءمة نفسية وهروب من الواقع المعيش لما توفره الإنترنت من إمكانات (كإخفاء كثير من الأسرار حتى الاسم) تعزز سلوكه ؛ مما يجعله يمضي شوطًا بعيدًا في التعامل مع الإنترنت وتكوين صلات وعلاقات عاطفية أو جنسية ونحوها، وهذا يشكل تجاوزاً للكبت الذي يعيشه في مجتمعه، لكنه لا يلبث أن يصطدم بعد حين بالواقع ويجد أن ما توهمه مَخْلَصًا لا يحل المشكلة .

وقد لاحظ دجون جروهول أستاذ علم النفس الأمريكي أن إدمان الإنترنت عملية مرحلية ؛ حيث إن المستخدمين الجدد – عادة – هم الأكثر استخدامًا وإسرافًا في استخدام الإنترنت بسبب انبهارهم بتلك الوسيلة، ثم بعد فترة يحدث للمستخدم خيبة أمل من الإنترنت فيحد – إلى حد كبير – من استخدامه لها، ويلي ذلك عملية توازن الشخص لاستعماله الإنترنت[٢] .

وعن عدد مدمني الإنترنت فقد وجد باحثون في جامعتي ستانفورد ودوكوسين أن مئتي ألف شخص (على الأقل) في الولايات المتحدة وحدها يدمنون زيارة المواقع الإباحية وغرف الدردشة في شبكة الإنترنت . وتقول الدراسة : إن هؤلاء المدمنين يعانون من

---

(١) بحثت د . نادية العوضي موضوع الإدمان في مقال بعنوان : "مرض العصر... إدمان الإنترنت" منشور في موقع islam- online (علوم وتكنولوجيا) وقد أفدنا منه في تحديد مصطلح "الإدمان" .

(٢) انظر المصدر السابق .

مشـــاكل مـــتعلقة بالعلاقات العاطفية وبالعمل أكثر من الزائرين للمواقع الجنسية بشكل عابر، وإن هذه الظاهرة تشكل خطرًا كامنًا قابلاً للانفجار، وأحد جوانب هذا الخطر أن قلة فقط تدرك حجم هذه المشكلة أو تأخذها مأخذ الجد !

ويصنف الباحثون المذكورون مستخدمي الإنترنت على أنهم مدمنون إذا قضوا أكثر مـــن (١١) ســـاعة أسبوعياً في زيارة تلك المواقع الإباحية، وإذا جاء ترتيبهم عاليـــًا في اســـتبيان مؤلّف من عشر نقاط عن العلاقات العاطفية والتوجهات الجنسية . وقد أجريت هـــذه الدراســـة سنة ١٩٩٨م ؛ فإذا أخذنا في الاعتبار الزيادة الكبيرة في عدد مستخدمي الإنترنت الآن سنتبين أن مدمني المواقع الجنسية الآن أعلى بكثير من ذلك[١] .

[١] نشرت فحوى هذه الدراسة في : ٢/٣/٢٠٠٠م bbcarabic.com

الفصل الثالث

سبل علاج القنوات الإباحية في شبكة الإنترنت

المبحث الأول: حرية ومسؤولية تدفق المعلومات

المبحث الثاني: سبل الوقاية منها (تربوية - تقنية)

المبحث الثالث: سبل العلاج (تربوية - تقنية)

تمهيد:

إن الحديث عن سبل العلاج والوقاية هو أهم ما يطمح إليه البحث، لكن يجب التأكيد منذ البداية على أنه لا يمكن الحديث عن استئصال تلك المواقع أو حجبها نهائياً لأسباب كثيرة تعود إلى أن الإنترنت حقل تطبيقي للفلسفة الغربية القائمة على المنفعة والحرية المطلقة وتحقيق الرفاهية للإنسان في ظل الاقتصاد الرأسمالي، والإنترنت هي نتاج تلك الحضارة نفسها، وهي المهيمنة على العالم اليوم، ومن ثم نشأ - في سياق التحدي الذي تفرضه تلك الحضارة الغربية واحتكاك المسلمين بها - ثلاث اتجاهات مختلفة: الاندراج فيها والتماهي معها أو الرفض السالب لها، أو التفاعل معها مع الحفاظ على الثوابت والقيم، ونتيجة هذه الإشكاليات التي تفرضها الحضارة الغربية (وخصوصاً ما يخص الإنترنت) وأمام هذا الاضطراب في تحديد الموقف منها قد يبدو مبرراً السؤال عن حكم الإنترنت (كما تم مع التلفزيون والدش وغير ذلك)، الذي وُجّه إلى الدكتور القرضاوي وغيره فأجاب الإجابة المعهودة (سابقاً) بأنها أداة يخضع الحكم فيها للمجال الذي تستخدم فيه[1]، وفي المقابل حرّمت مجموعة من غلاة المتشددين على حد تعبير -

---

[1] نص الفتوى المشار إليها: " الإنترنت شأنها شأن القنوات الفضائية، شأن التليفزيون والإذاعة والصحيفة في أنها أدوات ووسائل، والوسائل لا يقال فيها: حلال ولا حرام، إنما حِلُّها وحرمتها بالنسبة لما تُستخدم له، فمثلاً: المدفع حلال أم حرام ؟ المدفع ليس حلالاً ولا حرامًا، المدفع في يد المجرم حرام وأداة من أدوات الإجرام، وفي يد المجاهد أداة من أدوات الجهاد، فيمَ يستخدم الراديو أو فيم يستخدم التلفاز أو فيم تستخدم القناة الفضائية أو فيم يستخدم الإنترنت ؟ فالإنترنت: بعض الناس يستخدمونه في الفضائح الجنسية، وبعض الناس يستخدمونه في أشياء مفيدة كثيرة، بعض العائلات يتصلون ببعضهم عن طريق الإنترنت، فأنا عندي أولادي، بعضهم في أميركا وبعضهم في إنجلترا، وبعضهم في مصر وبعضهم في قطر والاتصال بينهم عبر الإنترنت . نحن نريد أن نستخدم الإنترنت للدعوة الإسلامية . هناك أناس يستخدمونه لنشر المسيحية، وهناك أناس يستخدمونه لنشر القاديانية فنحن نريد أن نستخدمه لنشر الدعوة الإسلامية، لعل الذين حرّموه خشية أن يستخدم في الإباحية والشر والفساد، لكن نحن لا نجيز استخدامه في هذه النواحي، ونحرم هذا بغير شك، إنما إذا نظرنا إلى المصالح والمفاسد نجد أنه من الممكن أن يقدم مصالح كبيرة جداً فنحن نستخدم الخير والصلاح الذي فيه، ونتجنب ما فيه من مفسدة " .
islam- online بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٩٩م .

bbcarabic.com – من الحاخامات اليهود والأرثوذكس استخدام الإنترنت أو مشاهدة التلفزيون، وقالوا في نداء نشر في الصحف الدينية الإسرائيلية في فلسطين: " إن الشرور تتسلل إلى نفوس اليهود المؤمنين من خلال أجهزة الكمبيوتر نظراً لأن مستخدمي الإنترنت معرضون لتلقي مواد بذيئة ويحظر حظراً استخدامها في المترل حتى لا يقدم النموذج السيء للنشئ" ومن المنتظر – حسب bbc – أن يستجيب لهذا النداء مليون من اليهود الأرثوذكس المتشددين[1] .

إنه بات من الواضح أن سياسة "التحريم" لا تحل المشكلة، وهذا ما تعلمناه سابقًا من "التلفزيون" و"الدش" و"التصوير" وغير ذلك، بل إن سياسة التحريم هذه كان لها آثار سيئة كثيرة على المجتمع والسلطة الدينية حيث كانت سلطة تلك الوسائل التقنية أكبر بكثير من سلطة الفتاوى المطروحة، الأمر الذي عكس اضطراباً في الموقف بالنسبة للجماهير ؛ مما فرقهم إلى طائفة غير مبالية بالفتاوى الموجودة، وأخرى تعيش اضطراباً نفسياً لإيمانها بسلطة المفتي من جهة، وعدم قدرتها على الامتثال للفتوى من جهة أخرى .

وسنحاول في هذا الفصل بحث سبل الوقاية والعلاج التربوية والتقنية راجين أن نسهم (إلى حد ما) في الحدّ من تلك الظاهرة وآثارها السلبية على المجتمع

(1) ٢٠٠٠/١/١٠ bbcarabic.com .

المبحث الأول: حرية ومسؤولية تدفق المعلومات في النظام الإسلامي والنظم المعاصرة

تعتبر قضية "حرية تدفق المعلومات " من المشكلات الرئيسة في وسائل الإعلام المعاصر، كما تعتبر " النظرية الليبرالية " هي النظرية السائدة في وسائل الإعلام (الغربية خاصة)، والليبرالية: " اتجاه عقلي يسعى في ضوء افتراضاته لأن يحلل العلاقات الثقافية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المجتمع الإنساني، ويؤكد على تعبير الإنسان في ذاته، ويرى أن أي محاولة من السلطة لوضع حدود صناعية على الأفراد تدخُّل لا مبرر له ؛ فالليبرالية ضد الحد من حرية الفرد، سواء في الأخلاق أو الدين أو الثقافة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو السياسة، ولم يكن المفهوم دائمًا بهذا الاتساع، وإنما تبلور في شكل الحرية السياسية على أساس أنها مدخل للحريات الأخرى فكان دائم السعي في حصر دور الدولة في أضيق الحدود بحيث يصبح مقتصرًا على حماية الحريات الفردية " [1].

ويقوم فعل الممارسة في النظرية الليبرالية على "التنافس " كوسيلة لتحقيق الانسجام المستمر في المجتمع، ونحن نرى، اليوم أكثر مما سبق، التكتلات الإعلامية، سواء في الولايات المتحدة الأمريكية أم في بريطانيا وفرنسا وألمانيا وغيرها من الدول الرأسمالية الغنية، ويمكن أن نلحظ تجمُّع عدد من الصحف والمجلات والمحطات الإذاعية والتلفزيونية والقنوات الفضائية ودور نشر الكتب وشركات التوزيع في يد فرد واحد أو عدة أفراد أو شركة مساهمة .

ويؤمن المذهب الليبرالي والتقاليد الليبرالية بقدرة الفرد على إخضاع الطبيعة، والأخذ بالتعددية الإعلامية والملكية الفردية لوسائل الإعلام[2].

---

[1] علي محمود العائدي، الإعلام العربي أمام التحديات المعاصرة، الإمارات، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية ط١، ١٩٩٩، ص ٥٠، ٥١ .

[2] المصدر السابق، ص٥٢ .

إن قضـية "تدفـق المعلومـات" ترتبط ارتباطًا وثيقًا بحقوق الإنسان وفق المنظور الغربي، وتحديداً بحرية التعبير والحرية الفردية (الشخصية)، وهي - بالطبع - لا تخضع لأي دين، ولا يقف أمامها أي عائق ؛ فهي حرية مطلقة .

أما الشريعة الإسلامية فهي تجمع بين الحرية والتقييد ؛ فهي لا تسلم بالحرية المطلقة ولا بالتقيـيد المطلق ؛ فالقاعدة الأساسية في الشريعة الإسلامية هي حرية التعبير، والقيود على هذه الحرية ليست إلا فيما يمس الأخلاق أو الآداب أو النظام، والواقع أن هذه القيود قُصد منها حماية الأخلاق والآداب والنظام، بل حماية الإنسان نفسه، ولكن هذه الحماية لا تتيسر إلا بتقييد حرية التعبير، فإذا منع القائل من الخوض فيما يمس هذه الأشياء فقد منع مـن الاعتداء، ولم يحرم من أي حق ؛ لأن الاعتداء لا يمكن أن يكون حقًا[1]، إنها عملية موازنـة بين الحقوق والواجبات، وبين المصلحة الفردية والمصلحة العامة ؛ فلا يمكن - في النظام الإسـلامي - أن يُسمح بنشر الصور العارية تحت مسمى حرية النشر، والحرية الشخصـية !! إن هذه القضية تتصل بقضية "النظر " و "المنكر" و "إشاعة الفاحشة" التي هي ذريعة للوقوع في "الزنا" مما يستوجب حدًا لله مفروضًا .

إن دخـول الإنترنت في مجال الإعلام أحدث ثورة في "التدفق المعلوماتي "، كما أحدث ثورة في النظريات الإعلامية، ويرى البعض أن دخول التقنية والإنترنت - في العالم العـربي - مـن شأنه أن يخلق نظرية إعلامية جديدة، ويصوغها وفق متطلبات العصر من أجـل الـلحاق بركب التطور والمعاصرة، ومن شأن هذه المؤسسات أن تأخذ بالانفتاح الإعلامي، وبهذا ينتصر الفكر الليبرالي وينتشر في نظريات الإعلام .

وسبق أن نبهنا إلى أن من أهم خواص الإنترنت وأخطرها عدم وجود جهة منظِّمة لهـا ومسـؤولة عـنها، أي أنها لا مركزية، ومن ثم هي لا تخضع لأي قيد في مجال نشر المعلومـات وتدفقها، وهنا تتحقق الحرية المطلقة بأبهى صورها، الأمر الذي لم يحدث من

[1] انظر: عبد القادر عودة، التشريع الجنائي الإسلامي مقارنًا بالقانون الوضعي، القاهرة، ط٣، ١٩٣٦، ج١، ص ٣٤ وما بعد .

قـــبل ! من هنا نشأ "الهلع" – حتى في الغرب الليبرالي – من هذه الحرية فبدأ الحديث عن "ضبط استخدام الإنترنت"، و "الإنترنت المقيدة " وغير ذلك مما أشرنا إليه سابقًا .

إن هـــذا المبحـــث يكشـــف عن مدى أهمية وصعوبة الحديث عن وسائل الوقاية والعـــلاج لـــلمعلومات غير المرغوبة في عالم الإنترنت، الأمر الذي يضعنا أمام الإشكالية الحقيقية، والهمّ الذي شغلنا على مدار الفصول السابقة .

المبحث الثاني: سبل الوقاية

تنقسم سبل الوقاية إلى سبل تقنية، وأخرى قانونية وثالثة تربوية .

أولاً: سبل الوقاية التقنية

تـندرج هـذه السبل تحت ما يسمى "الإنترنت المقيدة" أو المركزية وقد لاقى هذا التقييد لغطاً واسعاً في الغرب، وكان الكونغرس عقد جلسة لذلك سنة ١٩٩٥م بناءاً على أن التقييد يخالف الدساتير الغربية التي تنص على مطلق الحرية للفرد في التعبير والتصرف، أما في مجتمعاتنا العربية فالأمر أيسر من ذلك، وقد تم تقييد استخدام الإنترنت في عدد من الدول، ومع ذلك فإن الأساليب التقنية ليست حاسمة فربما يستطيع الماهر في عالم الإنترنت تخطيها، أضف إلى ذلك أن ثمة أعداداً جديدة من المواقع الإباحية التي تدخل كل أسبوع – إن لم نقل كل يوم – على الشبكة مما يصعب معه حصرها .

والإشكالية الأهم في وسائل الحجب التقنية أنها في مجال النصوص متطورة جداً بحيث تسمح بالبحث الجزئي والتقريبي والمرادف، أما بالنسبة للمعلومات الرقمية (الأصوات، الصور) فلا توجد وسيلة موثوق بها (إلى الآن على الأقل) للبحث في محتواها[١]، وعلى سبيل المثال تحتوي المملكة العربية السعودية على ثلاثين وحدة خاصة لتزويد القراء والمشاهدين بمواقع الإنترنت وترتبط هذه الوحدات جميعاً بدائرة مركزية توجد بالرياض تنظم الرقابة على المواد المنشورة إلى نحو مائة وثلاثين ألف مستخدم للشبكة في المملكة حيث يتم احتجاز المواقع الإباحية والمحظورة[٢]، ومع ذلك تم إغلاق مقهى للإنترنت خاص بالنساء في مكة من قبل السلطات السعودية لأسباب أخلاقية منافية للدين والتقاليد الإسلامية على حد تعبير اللواء يوسف مطر من الشرطة المدنية[٣]، لكن ذلك كله لا يقلل

---

[١] انظر بدر البدر، عبد العزيز الزومان، ضبط استخدام الإنترنت ...، (م.س) ص٣٤٧ .

[٢] ٢٠٠٠/٥/١٠ bbcarabic.com .

[٣] ٢٠٠٠/٤/١٧ bbcarabic.com .

من أهمية الوسائل التقنية في الوقاية من المواقع الإباحية، وسنفرد الفصل الرابع للحديث عن أفضل الأساليب التقنية في مواجهة القنوات الإباحية .

مراقبة البريد الإلكتروني:

اتجهت معظم الشركات والدوائر الحكومية البريطانية إلى فرض رقابة على رسائل البريد الإلكتروني المتداولة داخلها في محاولة للإيقاع بالموظفين الذين يستخدمون كلمات جنسية أو عنصرية، وقالت صحيفة الإندبندنت: إن الهيئات البريطانية الحكومية والمجالس المحلية والشركات تستخدم تجهيزات متطورة للكشف عن الرسائل المتداولة في أنظمتها والكشف عما هو جنسي أو عنصري منها . لكن ثمة صعوبة تكمن في تحديد الكلمات التي تحمل إيحاءات جنسية أو عنصرية في الرسائل الإلكترونية، وقد دفعت هذه الصعوبة على - ما يبدو - شركة استشارات تعمل في هذا المجال لإعداد قائمة بالكلمات ذات الإيحاء الجنسي أو تلك النابية أو العنصرية وتخزن هذه الكلمات في قائمة في الكمبيوتر المركزي للشركة أو الجهة المعنية بحيث تطلق إنذاراً آلياً في حال وجود أي كلمة محظورة في أي رسالة .

وتعتبر شركة "بيبود" البريطانية إحدى الشركات الرائدة في مجال مراقبة البريد الإلكتروني، وفي إحدى الحالات التي كشف عنها هذا النظام توصلت إحدى الجامعات بواسطته إلى قيام أحد المحاضرين فيها بإرسال واستقبال صور إباحية للأطفال عبر كمبيوتره[1] .

التقنين الذاتي:

من الحلول المناسبة لضبط استخدام الإنترنت - بالنسبة للأطفال خاصة - التقنين الذاتي ؛ حيث يتوفر العديد من البرامج التي تساعد في منع الوصول إلى المواقع " غير المرغوبة " كبرنامج Net Nanny الذي يتضمن قائمة بالمواقع التي يجب حجبها، كما يمكنك إضافة المزيد من المواقع إلى تلك القائمة، وذلك اعتماداً على تجربتك وتقويمك

---

(١) ٢٠٠٠/٥/١٣ bbcarabic.com .

لـــلمواقع التي تمر بها أو تسمع عنها، كما يمكنك أن تقوم دورياً بجلب نسخة مُحدَّثة من تلك القائمة عبر الإنترنت[١] .

ويمكن الالتزام الطوعي بكتابة عنوان يشير إلى مضمون المادة الخاصة بالبالغين – وفق المنظور الغربي – بحيث تستطيع برامج الفرز الخاصة في أجهزة الكمبيوتر استبعاد هذه المواد وعدم إظهارها على الشاشة، ويستطيع الآباء ضبط البرنامج بكلمة سر خاصة عند الرغبة في مشاهدة هذه المواد[٢] .

ثانيًا: سبل الوقاية القانونية

إنـــه لا يوجد حتى الآن – فيما اطلعنا عليه – تشريعات عملية لمكافحة "الإباحية" وذلـــك يـــرجع إلى موقف الدول الغربية من الإباحية وقد تعرضنا له قبل، والتشريعات الموجـــودة في بعـــض الـــدول العربية – وقد تعرضنا لها في التمهيد – قاصرة على مجرد "الحجب"، أو منع الوصول إلى المواقع الإباحية، وليست ثمة أي عقوبات لمن يتصل بتلك المواقع .

ولمـــا كـــان نشر الصور الإباحية للأطفال على الشبكة يعد جريمة في عرف القانون الدولي تم عقد اجتماع دولي في مدينة ليون الفرنسية خلال ٢٨– ٢٩ مايو سنة ١٩٩٨م مخصـــص لمجموعـــة العمل المكلفة بتنفيذ الجوانب القانونية لمكافحة نشر الصور الإباحية للأطفال على الإنترنت، وتم التوصل إلى الاقتراحات والتوصيات التالية:

١- التنسيق بين منظمة إيكبات (E C P A T)[٣]والبوليس الدولي (الأنتربول) من أجـــل إنشـــاء وحـــدات مختصـــة في مختلف الوكالات المعنية من أجل محاربة الاستغلال الجنسي للأطفال .

---

[١] انظر: بيتر،الدليل الكامل إلى الإنترنت، (م.س) ص ٢٦٨ .

[٢] انظر: بهاء شاهين، شبكة الإنترنت، (م.س) ص ٢٠٦ .

[٣] منظمة إيكبات هي منظمة تعمل على مكافحة الاستغلال الجنسي للأطفال .

٢- الإشـــادة بجهود الأنتربول في مكافحة الجرائم التي ترتكب ضد الأطفال وهذه تشمل عقد دورات تدريب للنشطاء في هذا المجال .

٣- مســاعدة الجهـــات القضـــائية المختصة في إجراء التحقيقات حول الاستغلال الجنســي للأطفـــال باستخدام الإنترنت، وهذا يتطلب التعاون من قبل مزودي خدمـــة الإنترنت (ISPS) بالاستضافة المجانية للمواقع، وتوفير خدمة معرفة رقم الشخص المتصل .

٤- المـــزيد من التعاون مطلوب من قبل مزودي خدمة الإنترنت، وهذا يشمل توفير قاعدة بيانات حول مستخدمي شبكة الإنترنت، وتزويد السلطات القضائية بهذه البيانات عند الطلب في الدولة التي ترتكب الجريمة على أراضيها .

٥- تشجيع مزودي خدمات الإنترنت على إبلاغ السلطات القضائية عند حصولهم على أي معلومات حول الاستغلال الجنسي للأطفال من قبل أنظمة الشبكة .

٦- فـــتح خطـــوط لاستلام البلاغات من المتطوعين وتقديم الدعم الحكومي لهذه الخطوط[1].

ثالثًا: سبل الوقاية التربوية

إن السبل التربوية هي الحصن الرئيس والأهم من أخطار الإباحية ؛ لأنها تجبر مواطن الخلل في السبل التقنية والقانونية التي قد يستطيع المرء التهرب منها والاحتيال عليها، وهذا هو الفارق بين القانون والشرع الذي يسيطر فيه الخوف من الله .

إن الواقـــع المعاصر سهّل كثيراً من المصاعب وذلّل السبل لدرك "المعصية" مما جعل الشـــاب خصوصاً يعيش في أزمة معقدة محاولاً أن يوائم بين غرائزه وميوله وبين التزامه الديـــني والأخلاقـــي، ونحن هنا نحرص ألا نقع في الكلام العمومي الذي اعتدنا سماعه من المربين والوعاظ لأن ذلك لم يحل المشكلة، **فالمشكلة لا تكمن في الاقتناع بضرر الإباحية**

---

[1] انظر: تفاصيل التوصيات والمقترحات الناتجة عن اجتماع ليون في: صديق علي ساجوري، السياحة والترحال من أجل ممارسة الجنس مع الأطفال، بحث منشور على موقع الشبكة الإسلامية isislamweb.net .

والانحـــراف الأخلاقي ؛ فـ ٩٧% من الشباب السعودي - مثلا - يرون أن الإباحية تفســد المجـتمع وتؤثر على إيمانه وعاداته وتقاليده[١]، على حين أن واقع هؤلاء الشباب يناقض كلامهم ذلك .

إن المشــكلة تكمــن في عدم وجود خيال قوي قادر على أن يمثل للوعي رؤية ملموســة تكون القيم فيها قادرة على ممارسة جاذبيتها للقلب بكل طاقاتها، ومن دون هــذا الخيال يبقى الإدراك في الحدود النظرية، والنظرية بمعناها الإدراكي لا تؤثر في القلب مصدر جميع الحركات، فكلما اشتدت قوة الخيال زاد اتضاح تمثيله، وكلما زادت واقعية القيمة المصورة ازدادت قوة دفعها أو قدرتها على التحريك (المثل الأعلى/السنة)[٢].

إن الحــل - كذلــك - لا يكون في السعي وراء إشباع الغرائز والدوافع وفق مذهــب اللذة الغربي . يقول إريك فروم في هذا: " تدل التأملات - إذا وضعنا الطبيعة البشــرية في الاعتــبار - على أن ممارسة الحياة وفقاً لمذهب اللذة الراديكالي لا يمكن أن تــؤدي إلى الســعادة، كما تبين أيضاً السبب في ذلك، ولكن حتى من دون تحليل نظري تثبت المعلومات التي تقع تحت ملاحظاتنا بوضوح تام أن طريقتنا في الجري وراء السعادة لا تثمر حياة طيبة، فنحن مجتمع من الناس التعساء على نحو مُزرٍ، نعاني من الوحدة والقلق والاكتــئاب والاتكالية والتروع التدميري"[٣]. إن السبيل الأمثل للوقاية من هذه الأخطاء ولتحقيق المواءمة النفسية هو تحويل الرؤية الإسلامية للعلاقة بين الرجل والمرأة - وقد تقدم شرحها - إلى ممارسة عملية تحقق فيها القيم جاذبيتها .

إن الله فطــر الرجل على حب المرأة ومفاتنها، وكذلك المرأة، وهذه الفطرة لا سبيل لتحقــيقها إلا بالــزواج، ولكــن الزواج - خصوصاً في الواقع المعاصر - يعوقه عوائق

---

[١] كمـــا ورد في استبيان نشرته مجلة المعرفة السعودية بعنوان: الاستمتاع بالمواقع المعسلة، ع/٥١، جمادى الآخرة، ١٤٢٠هـــ ص١٧ .

[٢] انظــر: د. إسماعيل الفاروقي، د. لويس لمياء الفاروقي، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة، الرياض، العبيكان،ط١، ١٩٩٨م، ص١٨٣ .

[٣] إريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، (م.س) ص٢٤ .

اقتصادية واجتماعية وغيرها، الأمر الذي يذكي الصراع الداخلي في الشاب، هنا لا بد أن يلتزم الشاب بالآداب الإسلامية في النظر ويبتعد عن المثيرات الجنسية حتى لا تضطرم الشهوة وتتأجج، وفي المقابل عليه أن يتسامى بغريزته بحيث يُنفّس عن نفسه بجهد روحي أو عقلي أو قلبي أو جسدي كالاستغراق في العبادة أو في البحث والدراسة أو في أي عمل إيجابي يحقق له وجوده ويعود عليه بالنفع،وهنا يأتي حديث النبي ﷺ: "**يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة (أي تكاليف الزواج) فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وِجاء** " [رواه البخاري ومسلم] .

ومن واجبات المجتمع أن ييسر السبيل إلى الزواج، وذلك بتخفيف تكاليفه وتشجيع الزواج المبكر، والتخفيف من وطأة تعدد الزوجات، وذلك لمعالجة احتمال الانحراف وتوفير حد الإشباع عند "ذوي الرغبات الزائدة"، لكن ذلك كله لا يتحقق إلا في ظل الوازع الديني الذي تغرسه العقيدة الإسلامية والتربية الأسرية في نفس الفرد .

ثم يأتي دور الرقابة الأسرية والاجتماعية ليعالج ما قد يظهر من خلل أو ضعف في نفس الفرد مما يدفعه إلى الانحراف، وهنا نجد أن واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أساسيات بناء المجتمع الإسلامي، وتركه إيذان بانهيار المجتمع ؛ قال ﷺ: " لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده "[1].

---

[1] رواه الترمذي، الفتن، ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٢٠٩٥)، وأحمد، باقي مسند المكثرين، حديث حذيفة، (٢٢٢١٢) .

المبحث الثالث: سبل العلاج

تمهيد:

إن الإباحية في الإنترنت أكثر تعقيداً من مجرد مشاهدة صور عارية أو جنسية مثل التي في المجلات أو الأفلام، الأمر أبلغ أثراً وأكثر إغراء ويحتاج إلى تعامل أكثر عمقاً وتركيباً من مجرد موعظة عابرة أو تذكير بالحكم الشرعي .

إن ثمة تشابهاً بين إدمان دخول المواقع الإباحية وإدمان العادة السرية أو إدمان الصور العارية بشكل عام، لكن المشكلة الأخطر أن البعض قد لا يرى النظر إلى الصور العارية حراماً أو لا يراه ضرراً بل ممتعاً، أو - كما قال أحدهم في إحدى الصحف المصرية - إن نشر الصور العارية يعد مطلباً قومياً للتخفيف من أزمة الشباب !!

إن هذا يدل على مبلغ استحكام الأزمة فينا، ومكمن الخطورة أن هذه النظرة ستؤدي إلى التعامل (الطبيعي) مع الموقف (غير المشكل) بالنسبة لها، ومن ثم لن تبحث عن علاج له أو حل . إن هذه المسألة من الأهمية بمكان في وضع حد لمشاكل الشباب وغيرهم، فيجب أن نعمق مشكلة نشر الصور العارية في المجلات والصحف وغيرها، وأن نصرّ على كونها "مشكلة" لنضع حداً لهذا التمييع للقضايا والاستهتار الذي يمارسه إعلامنا ومن يُسمون (بالفنانين) حملة لواء التعري والإباحية، بل إن الأمر يجب أن يتطور إلى المطالبة بعيادات ومستشفيات لعلاج مدمني الصور العارية أو العادة السرية، كما هو الحال مع مدمني المخدرات أو الكحول، وهذا بالإضافة إلى مطالبة الحكومات والجهات المسؤولة بتيسير سبل الزواج عن طريق وضع تشريعات خاصة بذلك وتقديم المعونات .

لنبدأ باقتراح مراحل العلاج لهذه المشكلة[1]، لكن يجب أن نقرر أولاً أن الأمر يستغرق جهداً ووقتاً كما أن الإدمان استغرق ذلك كله .

---

[1] أفدنا في تقرير مراحل العلاج الآتية من: المواقع الساخنة .. الاستمناء.. وداعاً للإدمان، إجابة عن مشكلة منشورة على موقع: islam- online، وينظر سبل علاج الإدمان عامة في: د. نادية العوضي، مرض العصر، إدمان الإنترنت، (م.س) .

أولاً: كيفية التعامل مع "الشعور بالذنب":

إن جلد الذات عقيم، وكذلك اللوم المستمر، فإنه يدمر القدرة على البدء من جديد كما يحطم الثقة بالنفس ويبقي الروح في مهاوي اليأس والقنوط، صحيح أن الندم توبة، لكن الاستمرار فيه قد يؤدي إلى فقدان الأمل مما يعني الاستسلام والتوقف عن محاولة الإقلاع، لذلك يجب أن نتحرك من قاعدة أساسية مفادها أن كل الناس يذنب، وأفضل المذنبين أسرعهم عودة " كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون"، وتكرار المحاولة علامة الصدق في التوبة، والتدرج في الامتناع عن "النشاط المرضي" نعمة تستحق الشكر وليس أمراً تافهاً، فالتدرج يعزز قدرة المرء على الإقلاع عن المرض، وعليه أن يشغل تفكيره فيما يطمح إليه لا في سقطاته ومشكلته، فيجب أن تتحول عملية الخروج من الحلقة المفرغة (شهوة، خطأ، لوم، شهوة، خطأ، لوم) إلى عملية أخرى (مقاومة، نجاح،حفاظ على النجاح، شفاء كامل) فإذا حدث فشل نحاصره ونجعله عارضاً ومؤقتاً ثم نعود إلى خطتنا . إن هذه العملية هي أنجح سبيل لمواجهة الشعور السلبي بالذنب، فالخطأ يجب أن نتعلم منه لا أن نستسلم له .

ثانيًا: السيطرة على الأفكار:

إن مقاومة الأفكار التمهيدية والمقدمات الذهنية من أهم خطوات العلاج، وهذه الأفكار إنما تتمدد في الفراغ من الأعمال الجذابة والنافعة الذي يملأ الحياة، وكذلك الفراغ من الأصحاب الصالحين، ومن الحب الحقيقي لله وفي الله، يقول الإمام ابن القيم: " وعشق الصور إنما تبتلى به القلوب الفارغة من محبة الله المعرضة عنه المتعوضة بغيره عنه، فإذا امتلأ القلب من محبة الله والشوق إلى لقائه دفع ذلك عنه مرض عشق الصور.. "[1]. ومَلْءُ الفراغ لا يعني مجرد التشاغل أو الامتناع عن نشاط مَرَضي . وإنما ملء الفراغ بالنافع مطلوب لذاته في كل الأحوال .

[1] ابن القيم، زاد المعاد، باب: الإخلاص سبب لدفع العشق، (نسخة الإنترنت) .

إن السيطرة على الأفكار تعني التدرب على الابتعاد عن الخطر ومقدماته وملء الفراغ ومسبباته، وإدارة الوحدة، وقد يستلزم هذا جهداً وتدبيرات وقائية مثل الغاء الاشتراك بالقنوات الفضائية أو قطع الاتصال نهائياً بالإنترنت، فالاجتهاد في جعل الوسائل (غير متاحة) أصلاً يبدو مهماً وجذرياً في العلاج، فالمقاومة كثيراً ما تكون أصعب من إلغاء الوسائل أصلاً .

ثالثًا: نموذج برنامج يومي[1]:

١- ابدأ اليوم باسم الله .

٢- تخلص من أدوات "النشاط المرضي" (الصور، الإنترنت) .

٣- عليك المجاهدة كل يوم بملء الفراغ ومقاومة المقدمات واستثمار الوحدة .

٤- خذ وقتاً كافياً في التوجه إلى الله سبحانه وسؤاله العون .

٥- عليك أن توقن بأن الله سيوفقك إن علم صدق نيتك وبداية جهدك .

٦- تعلم أن تجعل الصلة بالله سبحانه ركناً أساسياً ومكوناً رئيسياً في شخصيتك ونفسيتك وحياتك .

٧- إذا كنت قد رجعت في توبتك قبل ذلك ليَرَ الله منك هذه المرة إصراراً وخطة أحكم.

٨- تحدث إلى الله بكلامك أنت بالإضافة إلى الأدعية المأثورة، تحدث معه بلغتك العامية - ولا حرج - واعرض له المشكلة وسَلْه حاجتك .

٩- اجعل لنفسك مبلغاً من المال عن كل يوم تنجح فيه وادخر هذا المال لمكافأة كبيرة لنفسك .

١٠- هدفك المرحلي أن تتوقف عن الفعل المرضي لمدة مائة يوم، وعند نهايتها تكافئ نفسك بالأموال المدخرة لتنفقها على ما تحب .

---

[1] انظر: المواقع الساخنة..، (م.س) .

١١- ثم بعــد ذلك ستجمع مالاً عن كل يوم لتكافئ نفسك عن النجاح لمدة ٢٥٠ يوماً بمكافأة أكبر .

١٢- ثم ســتكافأ نفسك بعد ذلك في ذكرى مرور عام على آخر مرة مارست فيها النشاط المرضي .

وإذا فشــلت مــرة فعليك مراعاة ما ذكرناه في كيفية التعامل مع الشعور بالذنب والتبرع بالأموال التي ادخرتها لنشاط خيري ثم تبدأ من جديد .

لكن من المهم أن نذكر أن هذا النشاط المقترح (عام) قد لا يناسب كل أحد بحسب الحالــة الخاصــة للشــخص، كمــا أنه لا يراعي درجات الإدمان، بل يتناول - ربما - المســتويات العالية من الإدمان بحيث يقضي صاحبها الساعات الطوال يومياً أمام المواقع الإباحــية . وكذلك لا يفرق بين العَزَب والمتزوج، لكن ممكن أن يستأنس بهذا البرنامج ويكيف الشخص لنفسه برنامجاً ملائماً لحالته .

الفصل الرابع

أفضل الوسائل التقنية لمواجهة القنوات الإباحية

المبحث الأول: التعريف بنظام المنتج

المبحث الثاني: عرض التجربة الميدانية في دولة المنشأ

المبحث الأول: التعريف بنظام المنتج "نشأته ومصدره وخصائصه"[1]:

أولاً: نشأته ومصدره:

ظهـــر برنامج الترشيح "سايبر باترول" Cyberpatrol في يوليو ١٩٩٥. وفي فبراير ١٩٩٦ كـــان أول اجـــتماع لأول لجنة إشراف مختصة في قوائم المنع Cyber NOT . ثم قامـــت شركة "أمريكا أونلاين AOL" كبرى شركات الإنترنت باستخدام تقنية برنامج الترشيح Cyber Patrol ولوائح المنع Cyber Patrol وذلك في إبريل عام ١٩٩٦م . وفي يونيو ١٩٩٦م تم تبني برنامج الترشيح Cyber Patrol بنسخته التي تعمل مع نظام التشغيل "يونكس UNIX" من قبل شركة "زينكا Zencca" التي تعد أول مستخدم لنظام التشغيل يونكس .

ووجهت دعوة لرئيس Cyber Patrol وستة ممثلين آخرين في يوليو ١٩٩٧م لمقابلة رئيس الولايات المتحدة "بيل كلينتون" ونائبه أل جور في البيت الأبيض .

وفي ســـبتمبر ١٩٩٧م تم إصـــدار النسخة الرابعة من المنتج ٤,٠ Cyber Patrol ثم أصدرت طبعة كاملة من المنتج Cyber Patrol في يناير ١٩٩٨م على شكل أقراص مدمجة في جميع أنحاء العالم، وتم طرح Cyper Patrol لأنظمة التشغيل "يونكس" بشكل أوسع .

ثانيًا: الخصائص والمميزات

لقد كانت شركة Cyper Patrol الرائدة في إدراكها مكامن القوة الهائلة والعثرات - في الوقت نفسه - المتصلة بدخول الشبكة الدولية الواسعة الانتشار "الإنترنت" وتغلغلها في العديـــد من جوانب الحياة (في المترل والعمل والمدرسة) فقد أدركت أن المصادر الهائلة والمـــتاحة على الشبكة ستحتوي على مواد من شأنها أن تزيد الإنتاجية وتحفز على التعلم، وفي الوقـــت نفسه قد يتسبب الجانب الثاني - والمتمثل في وجود مصادر ومواد قد تنافي القيم والمبادئ والأخلاق - في تعطيل الاستفادة والتعلم، لذا عرضت Cyper Patrol حلاً فعـــالاً وقابلاً للتغييرات وسهل الاستخدام، وقد بدأت أول ما بدأت بإصدار نسخ خاصة

[1] تجدر الإشارة إلى أن هذا الفصل وصلنا من الشركة المسؤولة عن البرنامج، وترجمناه عن الإنكليزية .

بالآبـــاء تســـتخدم في كـــل بيت لضبط استخدام الأبناء لشبكة الإنترنت فيما يفيد، وتم تشـــكيل لجـــنة إشراف مستقلة تساعدنا على التأكد من أن لائحة المنع متوازنة ومواكبة للتغـــييرات، ولائحة المنع هذه هي لائحة تحتوي على تصنيف كامل للمواقع والصفحات حسب توجهها وتخصصها .

المبحث الثاني: عرض التجربة الميدانية في دولة المنشأ

١- دقة التصفية ودرجة الأمان والأداء:

من المستحيل إعطاء أرقام محددة عن المواقع التي قد تغفلها قائمة المنع Cyper Patrol لأنه لو تم معرفة أي المواقع التي تم إغفالها لتم إضافتها إلى اللائحة، وبالرغم من ذلك فإن Cyper Patrol تعد أكثر مناعة من منافسيها . إن لائحة المنع مشفرة لأسباب أمنية، على الرغم من الادعاءات الأخيرة بأنها قد اخترقت إلا أنه - على حد علمنا - لم تنجح عمليات الاختراق هذه، وحتى في حال حدوث الاختراق لن يؤثر ذلك بشيء إذ إن لائحة المنع يتم تحديثها بشكل يومي، وبالتالي تتغير باستمرار .

٢- كيف تعمل المراقبة ؟

يوجد حالياً عدة طرق لمراقبة محتويات الشبكة:

أولاً: المراقبة الآنية للصفحة:

وهي مسح الشاشة بشكل منتظم بحثاً عن نسبة مئوية من الألوان المحمية . وتتميز بأنها تراقب المواقع - كما تظهر - دون اعتماد ما يبحث عنه الباحث في مواقع أخرى جديدة . لكن هذه الطريقة لا تراقب الصفحات اعتماداً على النص الذي قد يكون بدوره يحتوي على لغة عدائية أو إباحية ؛ مما يجعلها لا تميز بين الصور الإباحية والألوان الباهتة الأخرى مثل اللون المشمشي .

ثانياً: مراقبة الكلمات:

هذه الطريقة تحظر المرور إلى مواقع تحوي كلمات معينة مثل "جنس" كما أن لها محركات مراقبة أكثر تعقيداً يتم فهم النص الكلي من خلالها . وتتميز هذه الطريقة بإمكانية مراقبة المواقع كما تظهر دون اعتماد ما يبحث عنه الباحث في مواقع أخرى . لكن قد تحظر المرور إلى صفحات مثل تلك التي تحتوي على "نوع جنس حشرة ما" على سبيل المثال، والتي قد تكون صفحات مفيدة تحتوي على معلومات علمية قيمة فتحظرها لمجرد ورود كلمة "جنس" فيها، كما أن العديد من المواقع البذيئة والإباحية قد تحتوي على

صـــور يبحث عنها بوضوح ولا يستطيع التعرف عليها مسبقاً ؛ نظراً لعدم ورود كلمات تـــدل علـــيها، بالإضافة إلى أن الشبكة قد أصبحت عالمية حيث يوجد العديد من المواقع بلغات مختلفة لا يمكن للمحرك أن يتعرف عليها.

ثالثاً: تحليل ما بعد الدخول:

هـــذه الطريقة تسمح للجهة المسؤولة عن رقابة الشبكة في مؤسسة ما بالتحقق من المواقع التي تم زيارتها من قبل الموظفين أو مستخدمي الخدمة فيها، وتتيح لها بعد ذلك إما مـــنع هذه المواقع يدوياً أو إشعار المستخدم بما فعل ودفعه إلى تغيير سلوكه على الشبكة وعدم الدخول لمثل هذه المواقع ثانية . وتعتبر هذه الطريقة فعالة في ضبط سياسة الدخول إلى الشـــبكة . لكـــن عند تنفيذ هذه الطريقة يكون التدمير قد حصل بدخول المستخدم للموقع، وسيكون من الصعب المراقبة بشكل دقيق بالإضافة إلى أن الأمر فيه مضيعة للوقت لتحديد المواقع الإباحية وغيرها من خلال عناوينها .

رابعاً: القوائم المصرح بالدخول إليها:

وهـــذه تسمح بزيارة المواقع المدرجة على القائمة فقط، أي أن الأصل في الأمر المنع المطلق لكل المـــواقع ثم يتم إتاحة المواقع المسموح بها تدريجياً حسب الحاجة . وتعتبر هذه الطـــريقة مثالية فقط في حال دراسة وتحديد المواقع المفيدة مسبقاً، وهذه الطريقة هي أكثر أماناً على الشبكة، وتمكّن من البحث في مواضيع معينة مسموح بها . لكنها مقيدة بدرجة كبيرة لحرية المستخدم الباحث، كما أنه من الصعب تخصيص قوائم مختلفة لكل مستخدم حسب التخصص، بالإضافة إلى أنها مضيعة للوقت للبحث عن مواقع جديدة لإضافتها إلى القائمة .

خامساً: القوائم الممنوع الدخول إليها:

وهي قوائم تحتوي على عناوين الصفحات الإباحية غير المرغوب فيها، ويتم الرجوع إليها في كل مرة يطلب المستخدم صفحة ما للتأكد من عدم وجودها ضمن قائمة المنع . وتتميز بدرجة أعلى وتعطي المستخدم حرية تنقل أكثر .

الفصل الخامس

التجربة العملية في دولة قطر

تمهيد

المبحث الأول: النظام: سياساته، أهدافه

المبحث الثاني: التطبيق: نطاقه، فاعليته

تمهيد:

أخذت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية على عاتقها إيجاد حل للرقابة على خدمة الإنترنت في قطر انطلاقاً من رسالتها الدعوية حفاظاً على المبادئ والقيم الإسلامية الأصيلة في المجتمع القطري، فقد قامت بمحاولات في هذا الصدد قد يرى الكثيرون أنها ليست ذات جدوى إذ كانت تعتمد على أساليب يدوية بدائية تقوم أساساً على التعرف إلى عناوين المواقع بالبحث العشوائي أو تلقي العناوين من بعض المهتمين الحريصين، ثم تجمع في قوائم طويلة (مئات الآلاف) وتسلم للمسؤولين في " المؤسسة العامة القطرية للاتصالات السلكية واللاسلكية " والذين بذلوا ما في وسعهم للتعاون مع الوزارة، ولكن بدائية الأسلوب الذي اتبع في إدخال القوائم في " الحائط الناري " الخاص بالخدمة حال كثيرًا دون استمرارية العمل بسرعة كافية .

ومنذ دخول الخدمة في الدولة وحتى وقت قريب كان الأمر محيرًا و لم يتم الوصول إلى حل مُرْضٍ ولو بصورة جزئية، وانطلاقاً من الثقة التامة في الله سبحانه وتعالى ظل الأمل قائماً في الوصول إلى حل واعتماد النسبة الضئيلة التي تم رصدها باعتبار أنها ما في الوسع الذي يتوجب بذله مخلصين لله تعالى راجين أن يبارك فيه . وكان مما توصلت إليه الوزارة في هذه السبيل:

١- تشكيل لجنة مشتركة بين وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ومؤسسة " كيوتل " للتعاون في إيجاد حلول عملية، وقد كان الحل الابتدائي الذي تم الاتفاق عليه هو أن تقوم وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بتزويد المؤسسة بقوائم للمواقع المراد منعها ومن ثم تغذيتها يدوياً .

٢- إرسال وفد فني من طرف وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية إلى " سنغافورة " باعتبارها من الدول المحافظة السباقة في هذا المجال للإفادة من تجربتها وخبرتها، وقد كان لهذه الرحلة دور مهم في بلورة الفكرة والتعرف إلى أساليب جديدة للتعامل مع المشكلة

٣- استضـــافت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية السيد / مارك ترودينجر مدير شــركة "مايكروسيســتيمس " للـــبرامج لأوروبا وإفريقيا والشرق الأوسط في المملكة المــتحدة.. وذلــك للتشاور معه عن كثب حول إمكانية تطبيق منتجهم " سايبرباترول " المتخصص في تصنيف المواقع والتحكم في إتاحتها لمستخدمي الإنترنت والحائز على جوائز عالمية .

٤- الاتفـــاق مـــع مديـــر الشـــركة المذكورة على إتاحة الفرصة لتجربة نظام " ســـايبرباترول " لفـــترة من الزمن حتى يتسنى لمؤسسة " كيوتل " تقييمه من الناحية الفنية والعملـــية، وقـــد تم ذلك، وهو يعمل الآن بصورة جيدة وبكفاءة ودون مشاكل تذكر والحمـــد لله رب العـــالمين، وتجدر الإشارة هنا إلى أن " سايبرباترول " يعتبر الحل الأمثل المـــتاح حاليـــاً على مستوى العالم حسب آخر تصنيف عالمي لمثل هذه النوعية من أنظمة البرامج .

وأخيرًا بفضل الله ثم بالبحث والتنقيب المتواصل تم التعرف إلى منتجات مختلفة تقوم ببناء قوائم بعناوين المواقع على الشبكة مصنفة كل حسب نوعية المادة التي يبثها من خلال موقعه مع إمكانية المنع التلقائي للأصناف المطلوب منعها وتحديث القوائم بصورة دورية .

المبحث الأول: النظام: سياساته، أهدافه

أولاً: اعتماد " سايبر باترول " كنظام للرقابة:

تم بحمد الله التعرف إلى عدد من برامج الضبط والتنقية وتم اختبارها وإجراء مقارنة عملية بينها فكان برنامج سايبرباترول هو الأفضل والأقوى، وللاستفادة من هذا البرنامج يجـــب إبرام اتفاقية مع الشركة المنتجة يحصل بموجبها العميل على ترخيص الاستخدام مع نسخة أصلية من البرنامج كما تتعهد الشركة بتزويد العميل بقوائم حديثة مصنفة للمواقع بشـــكل دوري " اســـبوعي " تتضمن المواقع التي تسجل على الشبكة، ويصنف البرنامج المواقع التي تحويها قوائمه إلى قوائمه إلى الأصناف التالية:

١- العنف وانتهاكات المحارم .

٢- عري جزئي

٣- عري تام .

٤- ممارسات جنسية .

٥- أوصاف فاضحة .

٦- العصبيات .

٧- عبدة الشيطان .

٨- المخدرات .

٩- التطرف العسكري .

١٠-التعليم الجنسي .

١١-المقامرة .

١٢-المشروبات الكحولية، البيرة، التدخين .

١٣-الرياضة والفراغ .

تعتـــبر تجـــربة دولة قطر في تطبيق نظام Cyber patrol تجربة رائدة ومتميزة على مستوى دول الخليج والشرق الأوسط، وقد كانت مثالاً عمليـــًا ناجحـــًا اقتدت به دول الجـــوار، كما كان لتعاون الشركة المنتجة للنظام دوره الكبير في نجاح التجربة، فالمنتج في شـــكله الأول لم يكن ملائمـــًا لبيئة دولة قطر، وقد تم تعديله ليتوافق والأنظمة العاملة في شركة اتصالات قطر، وبعد نجاح تطبيقه أصبح ملائمـــًا لبيئات مماثلة في الدول المجاورة .

ثانيًا: أهداف النظام:

إن الهدف الأساسي من تطبيق نظام Cyber patrol كان إيجاد وسيلة حديثة وفعالة لتصـــنيف المواقع على الإنترنت حسب نشاطاتها وتوجهاتها الفكرية والتحكم في منعها أو إتاحتها بطريقة عملية وتلقائية، مع ضرورة توفر القدرة على متابعة التغيرات السريعة التي تحدث للصفحات على الإنترنت سواء انطلاق صفحات جديدة أو إلغاء أو تغير العناوين والمحتوى وإجراء اللازم بالمنع أو الإتاحة . وكان الحل الذي يتيحه نظام Cyber patrol هـــو الأفضل من بين الحلول المتاحة في ذلك الوقت من حيث حجم العمل الذي يمكن أن يغطيه على مستوى الدول .

المبحث الثاني: التطبيق: نطاقه، فاعليته

أولاً: نطاق التطبيق:

يمكن توزيع مستخدمي الإنترنت من خلال شركة اتصالات قطر إلى ثلاث قطاعات :

١- خطوط اتصال هاتفية عادية Dialup أو ISDN لمستخدم واحد .

٢- مقاهي الإنترنت .

٣- خطـوط اتصال مؤجرة Leased Lines للمؤسسات الحكومية والشركات الخاصة . وقد تم تطبيق النظام كمرحلة أولى على القطاع الأول لثلاثة أسباب:

١- محدوية إمكانات التطبيق .

٢- سهولة تطبيق النظام على هذا القطاع .

٣- تطبيق النظام كتجربة والتأكد من فعاليته قبل تعميمه .

ثانيًا: فاعلية تطبيق النظام:

أثبت النظام كفاءة عالية ونال إعجاب الكثيرين بعد تطبيقه وبالأخص الأسر، وبدأ التفاعل يزداد يومـًا بعد يوم نظرًا لما يتميز به هذا البلد الكريم من صفات المحافظة والتمسك بالقيم، وبدأت تتعالى الأصوات بضرورة توسيع نطاق التطبيق ليشمل المقاهي والمؤسسات، ولكن تطبيق النظام على الأخيرين كان له عقباته والتي لا تزال جارية وهي:

١- أن الخطـوط المؤجـرة سواء للمقاهي أم المؤسسات لها خصوصيات تحتاج إلى تقنين إذ إنها عالية التكلفة وتتطلب تجهيزات خاصة من قبل المؤجر .

٢- المعمـول بـه عالميـًا أن تؤجر خطوط الاتصال المؤجرة دون تقييد الخدمات المتاحة عليها وإعطاء كل صلاحيات التحكم فيها للمؤجر .

٣- تحتاج الخطوط المؤجرة إلى تجهيزات كبيرة ومكلفة لتطبيق النظام، يجب توفرها مـن قبل أحد الطرفين، إما شركة اتصالات قطر، أو المؤجر وفي كلتا الحالتين ستؤثر على المؤجر، والذي بدوره قد يحجم عن التأخير مما يتسبب في خسارة شركة الاتصالات .

٤- توجد شركات أجنبية غربية المنشأ في الدولة تعتقد في حرية استخدام الإنترنت ولا تقبل فرض رقابة على موظفيها، وقد تحجم عن تأجير خطوط اتصال من شركة اتصالات قطر بسبب تطبيق النظام، وبالتالي قد تفضل الاتصال المباشر عن طريق شركات أخرى خارجية

٥- التخوف من أن يتسبب نظام الرقابة في إبطاء خدمة الاتصال بالإنترنت .

ثالثًا: مبادرات التطبيق من قبل المؤسسات الحكومية:

بعد تجربة تطبيق نظام Cyber patrol الناجحة على قطاع مستخدمي خدمة الإنترنت من خلال خطوط الاتصال العادية، بادرت عدة مؤسسات حكومية بتركيب أنظمة رقابة وتصفية على خطوطها الخاصة منها على سبيل المثال:

١- وزارة الشؤون البلدية والزراعة .

٢- وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

٣- المؤسسة العامة القطرية للبترول .

٤- شركة اتصالات قطر .

وقد اعتمدت معظم هذه الشركات حلاً متكاملاً مع الحائط الناري PIX Wall Fire من شركة CISCO SYSTEMS أكبر شركات شبكات الحاسب الآلي في العالم، وهو المعروف باسم WebSense .

الفصل السادس

استطلاع آراء الخبراء الفنيين حول المشكلة المطروحة

أولاً: استطلاع آراء والفنيين حول المشكلة

ثانيًا: استطلاع آراء خبراء اجتماعيين حول المشكلة

ثالثًا: استطلاع آراء بعض التربويين حول المشكلة

توطئة:

من المهم في بحثنا هذا أن نستطلع آراء بعض المختصين حول المشكلة، واقتضى هذا الأمـــر أن نطرح تساؤلاتنا على أهل الاختصاص من التربويين والفنيين وخبراء الاجتماع، وذلك لتشابك موضوعنا " الإباحية " مع عدد من فروع المعرفة، الأمر الذي أشرنا إليه من قبل. وهذه هي الأسئلة التي طرحناها على اثنين من كل اختصاص ويليها إجاباتهم.

أولاً: استطلاع آراء فنيين حول المشكلة:

١- تعتـــبر مشكلة الإباحية أخطر مشاكل الإنترنت الأخلاقية، خاصة في مجتمعاتنا الإسلامية، كيف ترون حجم المشكلة ؟

٢- تعتبر مشكلة حجب المعلومات مشكلة عالمية مختلفة الأبعاد، والتوجهات، كيف ترون ذلك ؟

٣- نلاحظ أنه رغم وسائل الحجب يبقى الأمر غير المرغوب فيه متاحًا، وخاصة لمن له خبرة بعالم الإنترنت، ما تقويمكم لجدوى وسائل الحجب التقنية ؟

٤- نلاحـــظ أن وسائل الحجب التقنية تعتمد على البحث في " النص "، ألا يمكن تطوير هذه الآليات ليتأتى البحث في الصورة ؟

٥- ما هي أفضل أساليب الحجب برأيكم ؟

٦- بعضهم لا يعول كثيرًا على الوسائل التقنية في الحجب، ويركز على التربية، هل يعتبر هذا تهميشًا للوسائل التقنية ؟

٧- بعض الفنيين يوصي بتكثيف الاهتمام بالأبحاث التقنية لمواجهة مشكلة الإباحية، ما الذي يمكن أن تفعله هذه الأبحاث في المستقبل في تصوركم ؟

الإجابات:

أ- م. سامي محمود عقل(*):

١- حجم المشكلة كبير جدًا ولا يمكن التحكم الكلي فيه .

٢- نظرًا لاختلاف المعلومات واختلاف المستخدمين، فليس من السهل حجب المعلومات كليًّا، فإنه من السهل الحصول على أي معلومة من خلال الإنترنت.

٣- توجد وسائل تقنية حديثة، ولكن لا يمكن لأي من هذه الوسائل أن يقوم بالحجب الكلي لهذه المواد الإباحية؛ حيث إنه يوميًّا يظهر عدد كبير جدًا من المواقع المختصة في مثل هذه المواد .

٤- إنه بالإمكان تطوير وسائل الحجب التقنية لنتمكن من البحث في الصورة، بدلاً من النص فقط، إلا أن ذلك يحتاج إلى تجهيزات فنية معقدة وعالية التكلفة .

٥- أفضل أساليب الحجب تثقيف المستخدمين بفوائد الإنترنت، واستخدام برامج متخصصة في الحجب عن طريق البحث عن المواد الإباحية آليًا، مثل: WEBSENSE, XSTOP, CYPER PATROL .

٦- لا يعتبر التركيز على التربية تهميشًا للوسائل التقنية، ولكن التربية تعتبر عاملاً أساسيًا ومهمًا في ديننا الإسلامي؛ حيث إن الوازع هو الرادع الأساسي لنا كمسلمين من ارتكاب المعاصي، ولكن لا يجب تهميش الوسائل التقنية، فإنها عامل مهم في حجب كثير من المواقع الإباحية، وهي تستخدم في العديد من الدول بما فيها غير المسلمة .

٧- تعتبر الأبحاث الفنية شيئًا ضروريًّا ومهمًا؛ حيث إنه يوميًّا يتم اكتشاف طرق ووسائل جديدة، تعمل لحل هذه المشكلة وحصرها، ويبشر المستقبل بإمكانية

(*) مهندس شبكات كمبيوتر في مركز نظم المعلومات الإدارية، وزارة الشؤون البلدية والزراعة، قطر.

الـــتحكم بنشر مثل هذه المواد؛ حيث إن الدول غير المسلمة أيضًا تواجه المشكلة نفسها، وتسعى جاهدة للتحكم فيها .

ب- هاشم حسين محمود(*):

١- لا شك في ذلك؛ إذ إنها وسيلة تتميز عن غيرها من الوسائل الأخرى (كالفيديو، والمجلات...) بالآتي:

- متاحة في كل مكان وزمان في العالم .
- قليلة التكلفة إن لم تكن مجانية في كثير من الدول .
- تتميز بالتفاعل الحي .
- يستخدمها جميع الأعمار دون أي ضوابط .
- يمكـــن الشـــراء الفـــوري باستخدام بطاقة الائتمان، ولا حاجة لانتظار البضاعة؛ فهي تتاح بمجرد قبول معاملة الشراء إلكترونيًا وفي ثوانٍ معدودة.
- لا يوجد قانون – حتى الآن – على مستوى العالم يضبط استخدامها .

٢- نعم هي مشكلة عالمية لكونها:

- خدمـــة، أو شـــبكة لا يمثلها أحد؛ فهي عبارة عن شبكة معلومات ذات ملكية جزئية تتمثل في ملكية المعلومات بشكل أساسي .
- لا يوجد – حتى الآن – قانون دولي يضبطها ويضبط استخدامها .
- لا يمكـــن التحكم في صلاحية نشر المعلومات فيها، كما أنه لا يمكن الجزم بتكذيب صحة ما فيها من معلومات.
- انعدام هوية الناشر لأي معلومة، وسهولة تقمص دور الآخرين .

(*) رئيس قسم خدمات النظم، مركز نظم المعلومات الإدارية، وزارة الشؤون البلدية والزراعة، قطر.

- أمـــن وسرية المعلومات لا يمكن تأكيده؛ لذا فمن الخطر ارتباط مؤسسات ذات نشاط حساس بها .

٣- إن الـــتطور ليس فقط من جانب واحد، فبتطور أساليب الاختراق تتطور أيضًا أســـاليب المنع، ولا يقدر على الاختراق إلا فئة محددة من المستخدمين المميزين، والذيـــن لا يطول بهم الوقت في ذلك مع تطور الوسائل . وفي رأيي سيصل الأمر إلى حـــد يمكـــن فيه ضبط المنع بشكل فعال، وقد يكون بطريقة ضبط القنوات الفضائية بالتشفير الذي تتبعه الصحون اللاقطة الحديثة..

٤- إن آلـــية البحث في الصورة متاحة الآن فعلاً، وتعتمدها بعض المرشحات الحديثة على الإنترنت، وفعاليتها تزداد مع الزمن بتطور تقنياتها، ولكنها لا تعتبر آلية دقيقة بشكل كبير .

٥- أفضـــل أساليب الحجب هي استخدام المرشحات التي تقوم بالتحديث التلقائي والـــتي تكون نظير شراء تراخيص ذات تجديد مستوى، تغطي به الشركة المنتجة الجهد ا لذي تبذله في تحديث قوائم المنع التي تعتمدها في أسلوب حجبها .

٦- في رأيـــي يجب أن يتحول الأسلوبان في اتجاه متوازٍ ولا غنى عن أحدهما؛ فالتربية لها دورها كرادع، ولكن النفوس تضعف، والشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق .

٧-قـــد تصـــل - على الأقل - إلى تطبيق استخدام هذه الوسيلة، كأن يعاد تسمية المواقع بالكامل إلى مجموعات تصنف تصنيفًا عالميًا حسب النشاط وطبيعة البيانات والمعلومات المنشورة؛ مما يسهل كثيرًا في التحكم في المنع تمامًا كما هو متاح الآن في الصـــحون اللاقطة الحديثة، وقد نصل أخيرًا إلى قانون عالمي يحذر من نشر أي معلومات تخالف المجموعة التي صنف فيها الموقع .

ثانيًا: استطلاع آراء خبراء اجتماعيين حول المشكلة :

١- البعض يشكك في حجم مشكلة الإباحية عبر الإنترنت، فيكف ترون حجمها ؟

٢- ما هي آثار الإباحية على الفرد والمجتمع في تصوركم ؟

٣- كيف يمكن لنا أن نعالج هذه المشكلة ونخفف من تأثيرها اجتماعيًّا ؟

٤- هل هذه الحلول المطروحة تتناسب مع حجم المشكلة ؟

٥- هل ثمة علاج خاص للمدمنين ؟

٦- وما هي انعكاسات تلك الآثار السلبية للإباحية على الأطفال ؟

٧- هل يمكن القول: إن التطور التقني الهائل بدأ يهمش دور الأسرة في التربية، خاصة أن الآباء والأمهات لا يملكون الحد الكافي من الثقافة ؟

الإجابات:

أ- أ.د. عبد الصبور إبراهيم سعدان(*):

١- حجـــم مشكلة الإباحية عبر الإنترنت يتزايد، ولا يمكن إغفاله؛ فالمواقع متجددة، والبرامج متنوعة، ورسائل البريد الإلكتروني لا تقف عند حد

٢- آثار الإباحية على المستوى الفردي:

- ضياع وإهدار الوقت الذي يسأل عنه فيم ضيعه ؟ لطول الوقت المستغرق أمام عوامل الإغراء والإغراق فيها .

- هـــدم الصحة بإثارة الدوافع الكامنة الفطرية الجنسية، واعتلال القوى الجسدية والصحية .

- انحـــدار المستويات التعليمية، وانخفاض المستويات التحصيلية للشباب الملتحق بمعاهد التعليم على اختلاف مستوياتها .

(*) أستاذ خدمة الفرد، قسم الخدمة الاجتماعية، كلية الإنسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة قطر.

- زيـــادة معدلات الانحراف النفسي والاجتماعي؛ فظهور الاضطرابات النفسية والانسحاب من العلاقات الاجتماعية وزيادة العزلة والانفرادية .
- التميز باللامبالاة وضعف القدرة على تحمل المسؤولية، بل وظهور اضطرابات كالعدوانية بأشكالها والعنف على مختلف الأعمار .
- انخفاض معدلات الإنتاج وظهور علامات ومؤشرات عدم التوافق في مؤسسات العمل .
- تحلل القيم الدينية، وانحدار التربية الأخلاقية والتفحش في البعد عن الله وضعف الإيمان .

وبالنسبة للآثار على المجتمع:

- زيادة معدلات الانحراف وتنوع أشكاله؛ كالاعتداءات الجنسية، والجنسية المثلية، وغيرها .
- انحـــرافات الكبار في زيادة معدلات الجريمة والنهب والسلب والتحايل والبغاء والإدمان على الشراب .
- ارتفاع معدلات الطلاق، ومثلها زيادة معدلات التباعد الزواجي والاغتراب في العلاقات الأسرية .
- تفكك العلاقات الاجتماعية وضعف الروابط الأسرية .

٣- يمكن لنا أن نعالج هذه المشكلة من خلال:

أولاً: الدعوة الدينية اليقظة، والمعتدلة السمحة التي تقوم على الترغيب لا الترهيب، ويمكن ذلك من خلال:

١- اســـتدخال مقـــررات المواد الشرعية وتدعيمها بالفروع المختلفة من الفضائل والســـير والشخصـــيات في مـــراحل التعليم الأولية وما يليها؛ تحقيقًا للتنشئة الاجتماعية القادرة والقوية .

٢- رسـالة المساجد التوعوية والدعوية والتعليمية للأسر والموضوعات التي تتناول الحلال والحرام والمسؤولية الاجتماعية وأبعادها .

٣- مراكـز تحفـيظ القـرآن وجلسات التفسير والأحاديث للتنوير وملء فراغ الشباب.

ثانيًا: وزارات التربية والصحة والعمل والشؤون:

١- المراكـز الرياضـية ضـرورة، وشغل وقت الفراغ والأندية الصيفية ودروس الهوايات والنشاط الحر والتذوق الفني .

٢- التحصينات العلاجية والكشف الدوري والصحي وقاية وعلاجًا .

٣- مراكـز التكوين والتدريب المهاري والمهني للتعليم والتأهيل وتسويق المنتجات التدريبية لغير المسلمين أو المتعطلين .

ثالـثًا: دور الأسـرة قبل كل ذلك في الإشراف والتوصية والتوعية والرقابة والمتابعة للأبناء، واستحياء دور كل من الأب والأم، والتمثيل بالقدوة الصالحة .

رابعًا: دور الأجهزة الإعلامية الإسلامية والرقابة الشرعية.

٤- هذه الحلول المطروحة في السؤال السابق نعتقد أنها مفيدة .

٥- وفيما يخص المدمنين:

يلزم استخدام أساليب علاجية تدخلية خاصة على هذه الانحرافات مثل:

- العـلاج السلوكي باستخدام التدعيم الإيجابي، التدعيم السلبي، التدعيم الفارقي، الانطفـاء الإجـرائي، تشـكيل الاستجابة وبناء لعب الأدوار، والعقاب ووضع الحدود.
- العلاج بالمساعد من خلال أحد أعضاء جماعة مكونة من الأعضاء المدمنين .

- العــلاج المتمثل في تكوين البصيرة وعمليات التعلم والاستبصار، ويتم تنفيذ هذه الخطط العلاجية من خلال جماعات المدمنين داخل مؤسسات أو هيئات اجتماعية وأهلية تطوعية .

٦- أما انعكاسات تلك الآثار على الأطفال فهي:

- فقدان الهوية والشخصية وعدم تكاملها .
- الاضطرابات النفسية والاجتماعية .
- ظهور الأمراض الجنسية .

٧- الـــتطور الـــتقني بدأ يهمش دور الأسرة في التربية إلى حد ما، وتحتاج الأسر دائمًا للتوعية والقيام بدورها وقبل كل ذلك في تكامل عناصر بنائها وسلامة هذا البناء .

ب- د. صالح أحمد فيلالي(*):

١- حســـب عـــلمي: إن حجـــم هذه المشكلة كبير، وإن الإقبال على الإباحية عبر الإنترنـــت كثير، خاصة من طرف فئة الشباب، لذا يجب ألا نقلل من حجم هذه المشكلة، وبالتالي التقليل من مخاطرها على شبابنا .

٢- والآثـــار المباشرة للإباحية على الفرد تتمثل في الانحلال الخلقي، أما آثارها على المجتمع فتكمن في التفكك الاجتماعي وانهيار البناء الأسري .

٣- إن العلاج القانوني لهذه المشكلة عن طريق حجب المواقع الإباحية على الإنترنت هـــو جـــزء من معالجة المشكلة، أما الجزء الآخر والمهم جدًّا فهو دور مؤسسات التربية بما فيها الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام الديني بصفة عامة؛ فيجب على هـــذه المؤسسات أن تعمل معًا من أجل خلق رقابة ذاتية لدى الشباب والشابات تحمـــيهم من مشكلة الإباحية؛ فالقانون وحده غير كافٍ، فلقد أثبتت التجربة أن

(*) أستاذ مساعد بقسم علم الاجتماع، جامعة قطر.

الـــوازع الديني والأخلاقي هو وحده القادر على حماية الشباب من الانزلاق نحو المسائل اللاأخلاقية، ومنها الإباحية .

٤- أعـــتقد أن القـــانون مع التربية الدينية والأخلاقية عبر الأسرة والمدرسة والمسجد والإعلام كافية لمحاربة هذه المشكلة؛ شريطة أن تتسم هذه الوسائل بالاستمرارية، وألا تكون في المناسبات فقط .

٥- لا أعتقد أن هناك علاجًا آخر غير العلاج الذي ذكرناه آنفًا .

٦- وكمـــا يقول علماء نفس الطفل عن الطفل: إنه عبارة عن صفحة بيضاء تكتب عليها ما تشاء؛ فإذا سمح للأطفال بمشاهدة المواقع الإباحية فإن النتيجة المتوقعة هي تقلـــيد الأطفال لما يشاهدونه في المستقبل، وهذا يؤدي بطبيعة الحال إلى الانحلال الخلقي والأسري .

٧- إنـــه عـــلى الرغم من التطور التقني الهائل ومزاحمته لدور الأسرة في التربية فإن الأســـرة تـــبقى هي الخلية الأساسية أو المؤسسة الأساسية من المؤسسات التربوية الأخرى التي لها الدور الكبير في تربية الجيل الجديد .

ثالثًا: استطلاع آراء بعض التربويين حول المشكلة:

١- كيف ترون قضية " الإباحية " من منظور نفسي ؟

٢- كيف ينشأ الإدمان النفسي والولع بالصور الإباحية ؟

٣- ما هي الآثار السلبية والنفسية والسلوكية لإدمان الإباحية ؟

٤- كيف يمكن معالجة القضية من منظور تربوي ؟

الإجابات:

أ- د. سليمان صالح الجمعة(*):

١- الإدمان يمكن تعريفه بشكل عام بأنه:

الاستمرار في ممارسة عادة ما؛ بحيث تؤدي تلك الممارسة إلى الخروج عن المألوف مؤدية - عندها - إلى " نشاط مرضي " في ممارسة هذه العادة . وهذا المصطلح يكثر إطلاقه في الإدمان على المخدرات، إلا أنه أصبح شائعًا ليطلق على الاستمرار في المداومة على شيء كالإدمان على استخدام الحاسب الآلي، أو الأكل ... إلخ .

٢- ويجب أن يعلم أن النظر إلى جسد المرأة يعد من الأمور النفسية التي يصعب على الفرد مقاومتها والابتعاد عنها؛ لأن هذا من الفطرة التي فطر الله الناس عليها، إلا أن هذه الفطرة قد تنحرف بعد ذلك نتيجة بعض العوامل النفسية والاجتماعية مؤديًّا إلى انحرافات جنسية، من أمثلتها الميل إلى الجنس المماثل، كالرجل إلى الرجل، والمرأة إلى المرأة، واشتهاء الحيوانات... إلخ .

٣- وتعد الإنترنت قفزة هائلة في مجال التعري والجنس؛ إذ تستطيع - بلمسة زر واحدة - أن تنتقل بين المواقع المختلفة لتستعرض ما " هب ودب " من المواقع المختلفة لتصبح متابعة هذه المواقع بديلاً عن الإثارة الحقيقية، بل لتصبح مجال المتعة والتذوق أكثر مما هي الممارسة الجنسية الفعلية .

٤- من أهم الآثار:

- الإدمان الدائم على الدخول للمواقع الإباحية، والنظر إليها، كما يصبح النظر إلى الأفلام والصور الجنسية من الأمور المهمة والمستمرة .
- هذا الشعور يؤدي إلى تدريب نفسي على الدخول إلى هذه المواقع والنظر إلى الصور؛ لتصبح عملية الإثارة أو الإشباع لا تتم إلا برؤية مثل هذه المناظر .

(*) أستاذ مساعد بقسم علم النفس، جامعة الملك سعود .

- تصبح الزوجة بالنسبة للمتزوج ليست هي الوحيدة في عملية الإثارة، بل تصبح هي على الأقل الأدنى نظرًا إلى ما يراه من نساء - بزعمه - أنهنَّ الأفضل والأجمل .
- بالنسبة لغير المتزوج، يجد ملجأ لعملية الإثارة والإشباع، لذا قد يؤخر الزواج، إما لأنه يجد المتعة في غير الزوجة، أو لأنه لن يجد المرأة التي تشبعه بعد أن رأى وسمع واشتهى كل صنف.
- أن الإثارة قد تشبع بعدها بعدة طرق:

١- بالممارسة الجنسية بين الزوجين.

٢- الاستمناء .

٣- عدم الممارسة والاستمرار في التهييج .

والاحتمالان الأخيران (٢، ٣) خطيران باستثناء الأول .

العلاج:

١- عدم اليأس من الاستمرار في الابتعاد عن النظر حتى لو أخطأ المرء مرة، بل يجب أن يستمر .

٢- تجنب الفراغ؛ فالفراغ - مع الوحدة - جليسا سوء يجب البعد عنهما .

٣- ملء الفراغ بالأشياء المفيدة، من قراءة ورحلات وأنشطة رياضية مستمرة .

٤- الاستمرار في الصلة مع الله، وكثرة الاستغفار الدائمين .

٥- التخلص من أدوات الإدمان والمهيجات الجنسية .

٦- معاقبة النفس عند الفشل بالتبرع بنقود (١٠٠٠ ريال) مثلاً، أو أطعمة، أو أوقات في العمل التطوعي الخيري .

٧- إلغاء الاشتراك في الإنترنت أو محلات الفيديو إن كان هذا هو العلاج الأخير .

ب- د. يحيى نصار(*):

١- فيما يتعلق بتفسيري لقضية الإباحية من منظور نفسي فإنني أعتقد أن الإباحية ما هي إلا سلوك غير سوي يلجأ إليه الفرد؛ اعتقادًا منه أنها وسيلة ناجعة لإشباع حاجته أو غريزته الجنسية، وأنا هنا أشدد على قضية اعتقاد أو اقتناع الفرد المستخدم لمثل هذا السلوك (الإباحية) بأنها طريقة فعالة وناجحة في تقريبه من حالة الإشباع والرضا المشابهة لتلك الحالة التي يشعر بها الفرد بعد قيامه بسلوك جنسي واقعي وحقيقي مع فرد من الجنس الآخر (كالحلة النفسية التي يشعر بها الزوج من خلال علاقته الطبيعية مع زوجته) .

٢- ينشأ الإدمان النفسي والولع بالصور الإباحية نتيجة تزايد قناعة الفرد " الخاطئة " بنجاعة هذا الأسلوب في إشباع غريزته الجنسية، ويكمن مصدر هذا التزايد في معرفة الفرد أن هناك غيره من الأشخاص الذين يوافقونه على رأيه، بل يشاركونه الأسلوب نفسه، ويتبادلون - فيما بينهم - الصور الإباحية؛ مما يجعله يعتقد "مخطئًا" مرة أخرى بأن ولعه بالصور الإباحية هو شيء طبيعي، بل أكثر من ذلك، إنه يبدأ بالاعتقاد بأن هذا السلوك يجعله أكثر قبولاً وقوة بين أقرانه، وباختصار، يبدأ هذا السلوك نتيجة اعتقاد خاطئ بأنه وسيلة فعالة لإشباع حاجة داخلية ثم تتطور لأنه يصبح من وجهة نظر المدمن وسيلة للظهور والبروز وسط أقرانه .

٣- هناك الكثير من المشاكل النفسية والسلوكية التي قد تنشأ نتيجة الإدمان على الإباحية، من أخطرها - حسب رأيي - زيادة استعداد الفرد على القيام بسلوكات غير سوية أكثر خطورة من مثل الإدمان على المواد المخدرة نتيجة وصول الفرد إلى مرحلة يشعر بها أنه بحاجة إلى ملامسة الواقع والذي هو عبارة عن صور ذهنية مضخمة لماهية الممارسة الجنسية والتي تثور من خلال ما يشاهده من صور ومواد إباحية، ولما كان الواقع الحقيقي مخالفًا أو غير مطابق لتلك الصور

(*) أستاذ البحث والقياس التربوي المساعد، جامعة الملك سعود، كلية التربية، قسم علم النفس .

فإنه قد يلجا إلى المخدرات للوصول إلى هذه المرحلة، ومما يؤكد هذا الاحتمال أن الكثير ممن يتعاطون المخدرات يعزون ذلك لأسباب جنسية، ومن المعروف أن الإدمان على المخدرات قد يدفع المدمن إلى أنواع مختلفة من السلوك غير السوي قد يكون العدوان أبسطها، وحتى لو افترضنا أن الشخص المدمن على الإباحية قد لا يلجأ إلى المخدرات فإن احتمال قيامه بسلوكات عدوانية تبقى قائمة على أساس حلة الإحباط التي ترافق هذا الإدمان (حسب نظرية دولارد وميللر في تفسير العدوان) .

٤- يمكن مواجهة هذه القضية من منظور تربوي من خلال إيجاد برامج تربوية تهدف بصورة أساسية إلى إقناع الطلبة بالآثار النفسية والمادية السلبية للإباحية، لتحقيق هذا الغرض لا بد من نوع من المصارحة بين أولياء الأمور وأبنائهم من جهة، وبين المعلم (وخاصة المرشد التربوي) والطلبة من جهة أخرى، كذلك يجب إعلام أولياء الأمور بأن مسؤوليتهم نحو أبنائهم لا تنتهي بتوفير الأمور المادية لهم، بل إنها تشمل المراقبة الذكية لسلوك أبنائهم بهدف توجيه هذا السلوك نحو الأفضل، وبأسلوب من الاحترام والتقدير لشخصية الابن؛ مما يوفر مناخًا من الثقة بينه وبين والده يجعله اعتقادًا مفاده: أن والده هو أفضل من يستطيع أن يشاركه مشاكله، ومن جهة أخرى أعتقد أن ترسيخ القيم الدينية بأسلوب عقلاني يجعل أفراد المجتمع (وخاصة المراهقين) أكثر حصانة وقدرة على رفض الإباحية كأسلوب لإشباع الغريزة التي أوجدها الله تعالى في عباده لحكم لا يمكن أن تخفى على لبيب .

تعقيب الباحث على ما سبق:

من خلال الإجابات السابقة من الفنيين والتربويين والاجتماعيين على أسئلتنا السابقة نخلص إلى ما يأتي:

- نتفق مع الفنيين على أن الحجب التام غير متاح .
- أهمية الوسائل التربوية في معالجة المشكلة بالإضافة إلى الوسائل التقنية .
- تقنية البحث في الصورة ممكنة، بل إنها متاحة الآن وإن كانت على نطاق ضيق، وبتكلفة عالية .
- هنالك آثار سلبية للإباحية على النفس والمجتمع، وتقع مسؤولية معالجتها على جهات مختلفة: الأسرة والمجتمع والدولة من خلال وسائل التربية والمنع القانوني والتقني .
- هنالك وسائل تربوية يمكن اتباعها لمعالجة تلك الآثار، تبدأ بالقناعة الذاتية بوجود تأثيرات سلبية، والمراقبة التربوية للأولاد وغير ذلك .

أهم نتائج البحث

١- يجب أن نتعامل مع الإنترنت كحقيقة واقعية فرضت (أو ستفرض) نفسها لا محالة، وسبيل التحريم/المنع غير مجدٍ، لذلك لا بد من أن نحسن استخدامها .

٢- إن العلم وسيلة موضوعية تخضع للسلوك الإنساني الذي يسخرها كيف شاء، وكذلك وجود الشر سنة كونية، وعلى هذا الأساس يجب أن نتعامل مع الإنترنت وغيرها.

٣- الوسيلة الأكثر نجاحاً هي التربية السليمة وفق الرؤية الإسلامية .

٤- وجود وسائل التحكم التقني أمر ضروري - وإن لم يكن حاسماً - فهو يخلق الشعور بالرقابة، ويمنع المبتدئين بالإنترنت (على الأقل) من الانحراف فضلاً عن أن التحكم بحد ذاته هو واجب إسلامي يندرج تحت مبدأ إنكار المنكر بالوسائل المتاحة .

التوصيات والمقترحات

١- تنشيط البحث العلمي من أجل التوصل إلى ضبط أكثر فعالية .

٢- بذل الجهود لضبط قوائم مستمرة بالمواقع غير المرغوبة من أجل تخفيف كثافة المواد الإباحية قدر الإمكان .

٣- التنسيق بين المؤسسات والحكومات من أجل تبادل الخبرات والقوائم .

٤- يجب أن نعمق مشكلة "نشر الصور الإباحية" في كل الوسائل وبشتى السبل ونؤكد على كونها "مشكلة" تتطلب حلاً سريعاً وحاسماً .

٥- نقترح إنشاء عيادات ومستشفيات لعلاج مدمني الصور الإباحية والعادة السرية كما هو الحال مع مدمني الهيروين وغيره، بل كما هو الحال مع مرضى الإيدز الذي هو نتيجة طبيعية للإباحية .

٦- تأسيس جمعيات اجتماعية خيرية تتولى تسهيل سبل الزواج أمام الشباب وتمد لهم يد العون.

٧- إنشاء جماعة خاصة بمتابعة المواقع الإباحية ورصدها .

٨- تشجيع الأفراد مستخدمي الشبكة على الإخبار عن المواقع الإباحية التي تعترضهم أثناء بحثهم وتخصيص خط هاتفي لتلقي البلاغات عليه .

٩- توعية أفراد المجتمع من خلال خطب الجمعة وعقد الندوات والمحاضرات بأخطار الإباحية وضرورة تسهيل سبل الزواج وتخفيف تكاليفه .

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: الكتب ..

- أحمد، المسند، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .
- أحمد عبد الله، تصورات الجسد والجنس.. كيف تحولت من رمز العالم المادة السفلي.. إلى ممارسة الجنس الإلكتروني في عصر الإنترنت، مجلة وجهات نظر، ع/١٢ يناير ٢٠٠٠م .
- إسماعيل الفاروقي، لويس لمياء الفاروق، أطلس الحضارة الإسلامية، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة، الرياض، العبيكان، ط١، ١٩٩٨م .
- أريك فروم، الإنسان بين الجوهر والمظهر، ترجمة سعد زهران، مراجعة وتقديم لطفي فطيم، الكويت (سلسلة عالم المعرفة) ع/١٤٠، ١٩٩٨م .
- البخاري، الصحيح، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .
- بدر بن حمود البدر، شبكة الإنترنت، بحث مقدم إلى مركز مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الإدارة العامة للمعلومات، د.ت .
- بدر بن حمود البدر، عبد العزيز الزومان، ضبط استخدام الإنترنت: لماذا وكيف ؟ بحث مقدم للمؤتمر الوطني الخامس عشر للحاسبات الآلية، السعودية، جامعة الملك فهد للبترول والمعادن وجمعية الحاسبات السعودية ١٧ - ١٩ نوفمبر ١٩٩٧م .
- بهاء شاهين، شبكة الإنترنت، ط٢، ١٩٩٧م .
- بيتر كنت، الدليل الكامل إلى الإنترنت: الطريق الأسهل والأسرع إلى الإنترنت، ترجمة سامح الخلف، الدار العربية للعلوم، ط١، ١٩٩٧م .
- الترمذي، السنن، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .
- الحسيني سليمان جاد، وثيقة مؤتمر السكان والتنمية، سلسلة كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ١٩٩٤م .
- حسني عبد المعز عبد الحافظ، هجمة صهيونية عبر الإنترنت، مقال منشور في مجلة الجندي المسلم ع/٩٩ سنة ٢٠٠٠م .

🕮 أبو داود، السنن، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .

🕮 ريتشارد روسينبرج، التأثير الاجتماعي للحاسبات، ترجمة: د. م. سرور علي إبراهيم سرور، السعودية، دار المريخ، ط١، ٢٠٠٠م .

🕮 الشافعي، الرسالة، تح. أحمد محمد شاكر، القاهرة، د.ط، ١٩٣٩م .

🕮 شذى سلمان الدركزي، الإنترنت: ثروة المعلومات والثقافة والتعليم (وسائلها الثقافية وتطوراتها المستقبلية)، مقال منشور في مجلة آفاق الثقافة والتراث ع/١٦ شوال/مارس ١٩٩٧م .

🕮 صديق علي ساجوري، السياحة والترحال من أجل ممارسة الجنس مع الأطفال، بحث منشور على موقع islmweb.net .

🕮 ابن القيم، زاد المعاد، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .

🕮 ابن ماجه، السنن، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .

🕮 مالك، الموطأ، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .

🕮 مسلم، الصحيح، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .

🕮 نـــادي العوضي، مرض العصر.. إدمان الإنترنت، مقال منشور على موقع islam-online.net (علوم وتكنولوجيا) .

🕮 النسائي، السنن، (نسخة برنامج، الكتب التسعة، صخر) .

ثانيًا: وكالات ومواقع ودوريات وصحف

🕮 www.bbcarabic.com .

🕮 مجلة المعرفة، السعودية ع/٥١، جمادى الآخرة، ١٤٢٠هـ .

🕮 صحيفة الشرق القطرية، الثلاثاء ٢٦ شوال، ١٤٢٠هـ ١ فبراير ٢٠٠٠م .

🕮 www.islam-online.net .

🕮 www.islamweb.net .

المحتويات

الفصل الثالث

سبل علاج القنوات الإباحية في شبكة الإنترنت

الفصل الرابع

أفضل الأساليب التقنية لمواجهة القنوات الإباحية

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد : ...... التاريخ : ......

الفصل الخامس

التجربة العملية في دولة قطر

الفصل السادس

استطلاع آراء الخبراء الفنيين حول المشكلة المطروحة

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الاسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد : ٦٧٥ التاريخ ٢٠١٨/٨/٢٤

كل الحقوق محفوظة